قصص قصيرة

كأنّ تنقصه الحكاية

جيلان الشمسي

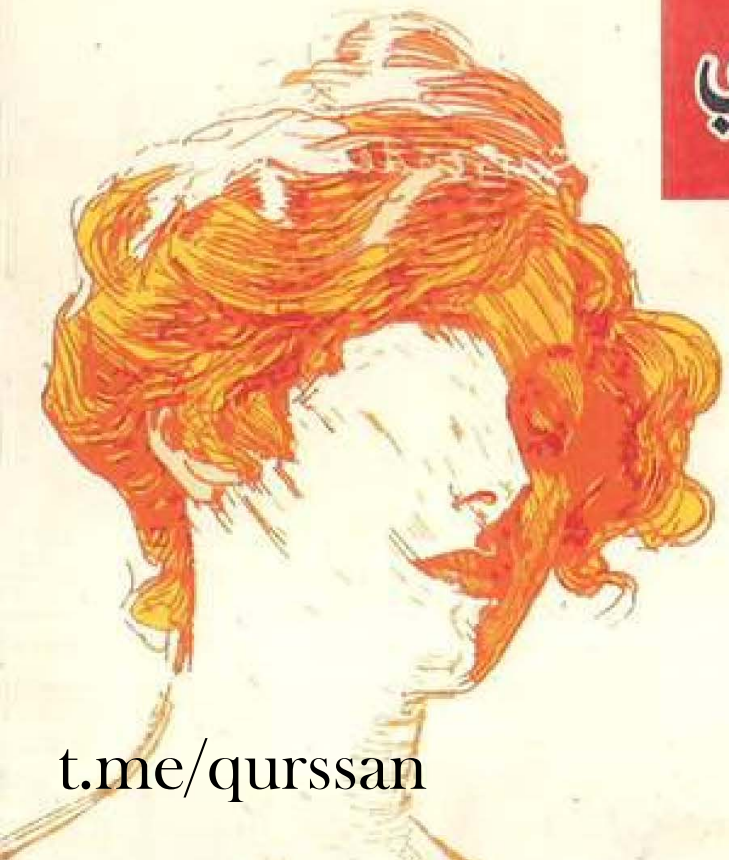

دار العين للنشر

t.me/qurssan

كأنّ تنقصه الحكاية

فصص قصيرة

جيلان الشمسي

دار العين للنشر

t.me/qurssan

إلى

بشائر.. روحي الراحلة.. التي كانت

ترى في الفراشات أرواحا محلقة..

محمد وقاسم.. الفراشتان المحلقتان حولي.

t.me/qurssan

المحتويات

تعكر صفو السماء 9
- آينشتين 11
- فراشة للاحتراق 20
- أيسل.. سحابة برتقالية اللون 25
- اختفاء عازف التشيللو 32
- أصوات المقهى القديم 40
- اعوجاج 46
- أصداء مدينة بعيدة 51

أرض أخرى 57
- ذات الشعر الغجري 59
- اختراق 65
- قطرة منزوية داخل فناء 71
- ضفيرتان معلقتان من خصاص نافذة 77
- منزل آخر حبيب 86
- دون، كيخوتة، ...، وأشياء أخرى 90

t.me/qurssan

حكايات عنه كأنّ تنقصه الحكاية 93

- 8 على 10 95
- إخلاء 102
- تحول 110
- واجب 117
- إيليت 122
- صلوات لديونيسيوس 128
- مولد أول لديونيسيوس 134

t.me/qurssan

تعكر صفو السماء

t.me/qurssan

آينشتين

تتوقف الحافلة أمام المبنى المطلي بالأبيض والرمادي. دقات الساعة الثامنة صباحا تملؤني بالضجر. لو أحظى بساعة نوم زائدة. تتدافع الأجساد في تباطؤ وخمول لمغادرة الحافلة وعبور البوابة الحديدية لمبنى الشركة. إظهار بطاقات تحقيق الشخصية للأمن. انتظار المصاعد المكتظة دوما في مثل تلك الساعات الصباحية. لا أحلم بشيء في تلك اللحظات سوى بقدح من القهوة كي أتمكن من إبقاء رأسي فوق كتفيّ حتى نهاية الثماني ساعات.

الممر الرمادي اللون. أحرك رأسي تلقائيا لإلقاء تحيات الصباح بغمغمة على عدد من الأشباح حولي ممن مازالوا يبحثون عن قهوتهم. قدماي تقودانني إلى القسم الذي أعمل به في غرفة 101، عشر مكاتب متراصين داخلها. ألقي حقيبتي على المكتب

t.me/qurssan

المخصـــص لي. يدي تمتد لا إراديا للهاتف قبل حتى أن أتمكن من الجلوس لأطلب من الساعي أن يحضر لي كوب (النسكافيه البلاك) الخاص بي.

"نحن هنا لأننا لم نشأ أن نكون"

الابتســامات المتبادلة مع الجالســين حولي. نتبادل الهمهمات الصباحية قبل أن يعاود كلٌ منا النظر مجددا للشاشة الصماء. أضع الأوراق فــوق رقعة مكتبي المواجه للحائــط. المكان الوحيد الذي حاولــت جعله آدميا داخل تلك الجدران. نبتة صغيرة أقصى اليمين مازالت تذكرنــي بالحياة الموجودة خلف الزجــاج المغطى دوما بالستائر الزرقاء. بعض صوري القديمة معها في اليسار لتعاودني تلك المرارة كلما شــاهدتها. صورة لغراب مطبوعة أبيض وأسود أعطتهــا لي صديقتي قبل رحيلها من الشــركة. وصورة تتوســط الحائط أمامي لـ(آينشتين)!!.. (آينشتين)؟؟!!.. أحاول إعمال عقلي لتذكر متى وضعت تلك الصورة هنا. أقترب منها أكثر. هي صورة شــهيرة له جدا. صورة له أبيض وأســود يظهــر فيها وجهه فقط مخرجا لســانه. صورة ربما رأيتها مئات المرات في مواقع تصفح الإنترنت لكني لا أتذكر تماما أني طبعتها وعلقتها. يأتي الســاعي واضعا النسكافيه أمامي. يتأمل نظراتي الشاردة نحو الصورة ويبدو

t.me/qurssan

أنه شعر بأهميتها. يبتسم لي. "جد حضرتك شبهك قوي". ثم يرحل دون أن يجيب نظراتي المتسائلة نحوه.

"نحن هنا لأنكم تريدوننا معكم"

أنهض عن مقعدي قليلا لأتأمل العشر موظفين الجالسين حولي. دعابة قاسية هي. بصوت هادئ أتمتم "حد حط الصورة دي هنا؟". يتطلب الأمر تكرار السؤال مرتين قبل أن تبدأ الرؤوس في النظر نحوي. لم أكن يوما ممن يملكون نبرة الصوت اللازمة لاسترعاء الانتباه. نظرات متعجبة منهم دون إجابة. أكرر السؤال رابعا. الفتى الجالس في المكتب المجاور لي يجيب بابتسامة "لقيت نفس الصورة على مكتبي الصبح". أجلس مهمهما "واضح أنها هزار من حد". ينظر لي الفتى الذي نسيت اسمه بابتسامة مجاملة قبل أن يعاود النظر لشاشته. أعاود استكمال العمل مجددا. أكان اسمه (محمد) أم (محمود). أقرر الإبقاء على الصورة فهي تشعرني قليلا بالذكاء. تمر بضعة أيام وهي مازالت في مكانها معلقة بفخر لتتماهى مع الحائط من خلفها.

"نحن هنا رغم ابتعادكم عنا"

t.me/qurssan

المبنى الرمادي مجددا ويوم آخر لا أدركه سوى من دقات المنبه في الصباح. نفس الخطوات المتثاقلة والحركة المترنحة وسط الممر الكابي الكئيب. من المؤكد أنهم يختارون اللون الرمادي في المكاتب لهدف. ربما لجعل الأيام كلها تختلط في ذهنك فلا تدرك مقدار الوقت الذي تتواجد فيه داخل هذا المكعب.

كل شيء ثابت داخل المكان؛ النسكافيه، الإيماءات، الأوراق المعادة، فقط أجد الصورة الموضوعة فوق مكتبي وقد تغيرت لصورة أخرى لـ(آينشتين). جالسا عاقدا يديه أمام وجهه ناظرا لي. أبتسم. يقترب مني الفتي الجالس بجواري ضاحكا "اتغيرت الصورة النهاردة عندي أنا كمان". ربما أول كلمات نتحدثها منذ جئنا لهذا المكتب. "حصل ده مع تلاته كمان من قسم المحاسبات. كانوا بيحكولي النهاردة". (محمود) من المؤكد أن اسمه (محمود). صوت خافت لفتاة يتصاعد من نهاية الغرفة "لقيت الصورة على مكتبي أنا كمان النهاردة". ثلاثة في هذا المكتب وثلاثة في المكتب المجاور. هل هي وليدة الصدفة. يلتقط (محمود) حيرتي فيجيبني دون سؤال "دي للمميزين بس، شكلها كده". أومئ برأسي معاودا النظر في جهازي. تلك الأوراق لن تنتهي وحدها اليوم.

نسمع أصوات همسات ونقاشات تدور في مكتب المحاسبات المجاور لنا الذي كان صامتا دوما. كلمات مغمغمه تدلف نحونا عن حديثهم فيما أظن أنه عن الصورة أيضا.

t.me/qurssan

"نحن هنا أم أنتم الذين هنا"

لم يكن للأمر نسق معين ولا موعد معين لتغير الصور. كنا نأتي أحيانا صباحا فنراها ثابتة لم تتغير بعد وأياما أخرى نجد صورة جديدة مكانها. كان عددنا قد بدأ في الازدياد داخل المكتب وسمعنا أخبار عن حدوث نفس الشيء في مكاتب وطوابق أخرى.

حينما صارت الحافلة تتوقف أمام المبنى الساعة الثامنة، تتصارع الأجساد كي نصل سريعا للبوابة. دون انتظار المصعد، نعدو فوق السلالم حتى نصل للمكتب منتظرين معرفة الصورة التي عسانا نراها اليوم. كانت خيبتنا تصير ثقيلة حينما نكتشف أنها لم تتغير بعد. نظرات مدام (منى) الشامتة تجاهنا. ربما لأن مع مرور الوقت لم يتبقَ سواها هي وفتاة أخرى لا توضع الصورة على مكتبهما داخل قسمنا.

صورة أخرى نجدها في يوم آخر لـ(آينشتين) جالسا فوق صخرة أمام البحر واضعا ساقا فوق الأخرى. أبتسم حين أراها. تقترب مني مدام (منى) ممصمصة شفتيها "باختي إيه الشبشب اللي لابسه ده". أقلب نظري بينها وبين الصورة ثم أجيب "بتبصي للشبشب، إحنا بنبص للي ورا الشبشب" ثم ململما أوراقي أستكمل "ده الفرق".

أعجبتني جدا الإجابة التي تسللت مني. كانت إجابة حاسمة لأي

t.me/qurssan

محاولة تدخل أو سؤال من أحدهم عن لماذا تأتينا نحن فقط تلك الصورة.

"نحن هنا لأننا ننظر لما خلف الأوراق"

نجتمع في غرفة التدخين في الدور السفلي. كان عددنا يقترب من الخامسة والعشرين. بعضهم كنت أعرفه جيدا، البعض الآخر كنت ألتقي بهم أثناء تدخيننا بالمصادفة أو أثناء بعض الأعمال المشتركة بين الأقسام. أجول بعينيّ وسطهم. لا شيء يجمع بيننا. لا سن لا نوع لا أقدمية حتى. فقط نجد نفس الصورة على حوائط مكاتبنا كل فترة. البعض منذ البداية مثلي أنا و(محمود) والبعض الآخر منذ أسابيع أو أيام قليلة.

داخل تلك الغرفة نجلس. كنا نعلم أن وجود تلك الصور يربط بيننا بطريقة أو بأخرى ويستوجب منا القيام بشيء ما. لكن لم يكن أحدنا يعلم ما هو هذا الشيء.

كانت التكهنات والأفكار كلها تدور في دائرة مفرغة. ساعة كاملة مرت دون أن نتوصل لشيء. نفعل شيئا، ما هو هذا الشيء؟

الكثير من السجائر المطفأة وفرضية أن يكون للأمر علاقة بنظرياته الفيزيائية لكن سرعان ما ألقينا بتلك الفرضية إلا لو كان من يقوم بتلك الدعابة نيوتن نفسه.

t.me/qurssan

أحدهم تطوع اليومين السابقين بترك كاميرا موبايله مفتوحة لتسجيل ما يحدث أمام مكتبه. في الصباح وجد التسجيل لا يحوي شيئا سوى المكتب خاويا كما كان، لكن الصورة الجديدة كانت هناك كأنما نبتت وحدها. صراحة لم أتعجب أن الكاميرا لم تسجل شيئا عكس الباقين، ما تعجبت حقا منه هو أن الموبايل نفسه لم يسرق.

"نحن هنا. بينكم.. داخلكم"

تنتهي الجلسة ونعود لمكاتبنا الكئيبة. صار التركيز أمرا صعبا تلك الأيام. تدريجيا بدأنا نتطرق لأكثر الأفكار غرابة. نتقابل في نفس الغرفة كلما تغيرت الصورة لندخن المزيد من السجائر ونستعرض المزيد من النظريات. البعض قد تطوع بإحضار كتب عن نظريات (آينشتين) وقراءتها لنا، لكننا كنا ندرك أن هذا ليس المسار السليم. البعض كان يقوم باستعراض حتى لبعض الأفلام التي حدثت بها مشاهد مماثلة. أحدهم أحضر شِعرا وكان سعيدا أنه وجد جمهورا قرر سماعه أخيرا. الحديث بدأ يتطرق حتى عن أن هذا من فعل شركة منافسة.

كانت كل أنواع الحديث متاحة في تلك الساعات القليلة ماعدا المتعلقة بأوراق العمل. تطلب الأمر أن أحاول وضع النظام في المواضيع التي نناقشها وعدد ساعات بقائنا. أحيانا كنا ننقسم

t.me/qurssan

لمجموعات، كل مجموعة تمكث لمدة ساعة واحدة حتى لا يلحظ أحدهم تغيب عدد كبير من الموظفين عن المكتب في وقت واحد. نظراتنا وابتسامتنا لبعضنا البعض طوال اليوم. كنا نجتمع دون أن نتحدث. بمجرد نظراتنا نفرغ مما في أيدينا ونتجه نحو الغرفة السفلية.

اليوم قطعت مدام (منى) الصمت في المكتب بزغاريدها) حين وجدت صورة معلقة على الحائط أمامها. صارت منا.

"نحن هنا لأننا نزداد وسطكم"

كان العدد في تزايد مستمر والغرفة التي كانت تتسع لخمسة وعشرين صارت تحوي ثلاثين أو أكثر. أثناء تجمعنا اليوم أتى أحدهم يطلبني في مكتبنا لأن المدير يريدني. تركت الاجتماع وصعدت مرتبكا. دقاتي الخافتة على باب مكتبه. خطواتي بالداخل. أتأمل الغرفة. صور (آينشتين) مكدسة على جميع حوائط مكتبه. العشرات منها في كل مكان. أنظر إليه مندهشا.

- تعرف حاجة عن الصور دي؟

- ...

- إزاي الاقي مكتبي كده. بيقولوا انت بتعمل اجتماعات.

t.me/qurssan

أنظر نحوه حائرا غير قادر على النطق.

- كنت انت أول واحد لقوا الصور عنده... تهريج... تحقيق...

كلماته لا تصل حتى لأذنيّ فلا أفهم ما يريده. أقترب نحوه ببطء متحدثا بصوت منخفض "هم عايزينك"...

لا أدري لماذا تفوهت بتلك الكلمات تحديدا لكنها أربكته. يصمت. أرحل تاركا مكتبه.

"نحن هنا لأننا سنبقى هنا"

الممر الطويل حتى مكتبي صار ممتلئا بمئات الصور لـ(آينشتين). مكتبي وجميع المكاتب المجاورة أصبحت مغمورة بالكامل. أنظر نحو (محمود) الذي يحاول إزاحة الصور المكدسة كي يتمكن من الجلوس و.. أبتسم.

t.me/qurssan

فراشة للاحتراق

داخل جدران المستشفى الخانقة يقفون دون حراك. دائرة صغيرة تتكون حول الكرسي المتحرك الذي أجلسوها عليه. ممرضة عابرة تحاول إبقاءهم ملاصقين للحائط حتى لا يسدوا الطريق. نظرات مرافقتها المطمئنة نحوها وابتسامة راثية تُرسم على ركن فمها. يضغطون فرامل الكرسي حتى لا يدفعها أحدهم فتسقط. رأسها الذي لم تعد تستطيع أن تقيمه فتسنده طول الوقت فوق كتفها باستسلام. جسدها الذي استباحته الأدوية الكيميائية منذ أشهر قليلة دون توقف. لم تعد قدماها تقويان على حملها. "هانت قرّبنا ندخل" تتمتم مرافقتها في أذنها بحنان. أشخاص آخرون يحيطون بكرسيها المتحرك متحدثين دون أن تتمكن من التعرف إليهم. لم تعد تتذكر أحدا. لا تتذكر سوى أن أمامها هذا الطابور الطويل قبل

t.me/qurssan

أن تتمكن من الدخول في دورها وأخذ جرعتها. الحائط المتشـــقق بجوار راســـها الذي عبث أحدهم به يومـــا، ربما من كثرة ضجر الانتظـــار. تمر ممرضة أخرى تربت على ذراعها هامســـة "ربنا يشـــفيها" قبل أن تدس مرافقتها عشرة جنيهات في جيبها. "عايزين ندخل بسرعة". همهمات مفاوضة بينهما. الأعين الزائغة للمرضى من حولها. تريح راسها أكثر فأكثر حتى كاد يتضخم ليسقط بها من فوق الكرسي.

***

أناملـــه تمتـــد لتضفر خصلات شـــعرها ببطء ومهـــارة فائقة. "أتعرف اني كنت اعشق يديّ امي تصففان شعري". يبتسم. فراشة ما تمد جناحيها لتحلق بجوار مصباح الغرفة المضاء. "يقولون إن الفراشات أرواح هائمة يجب علينا الصمت في حضورها". يسكنان قليـــلا دون صوت. يـــداه تتحركان فوق وجهها وعنقها. تســـتكمل الفراشة رقصتها حول الضوء. يمد يده ليغلق مفتاح النور المجاور لراسه. يداه تتوغلان في أعماقها أكثر فأكثر. تظل الفراشة متخبطة في الظلام، ثم حين تفقـــد بغيتها تحلق من النافذة نحو نور يتراءى لها في نهاية الشـــارع. "تركتك الروح ورحلت". يداعبها مبتسما. تريح راسها بين ذراعيه مطمئنة وتبتسم.

***

t.me/qurssan

الفراش الذي لم تعد تنهض من فوقه، الذي لم تعد ترى سواه. يدسون في فمها بعض الأكل المهروس. ليس مهما ما تتذوق أو ما طعمه، المهم أن يمر لداخلها. إحساس الغثيان الذي لم يعد يفارقها أبدا. لن تمر أيام قليلة حتى يدسون أنبوبا في حلقها محملا بمادة صفراء اللون. سيزجون بالطعام لداخلها مباشرة. لن تتعرف عليه ولن تعرف ما هو. سيتخللها دون إرادة كقبلات الزائرين التي تمتد نحوها دون أن تتمكن من منعها، كحسرة تراها في الأعين يظنونها تغفلها حين تغمض عينيها. كجسد حبيب فارقها تاركا إياها لبرودة وحدتها. تحاول تذكر أي اسم ممن يحيطون بها دون جدوى. إبرة ما تدس داخل عروقها. تشهق قليلا متألمة ثم تغمض عينيها مجددا. يعتصرون بأنفاسهم الثقيلة الهواء حولها. يدها تمتد بحركة لا إرادية نحو هاتف ليس موجودا لتضغط رقما لم تعد تتذكره. تريح رأسها للخلف قليلا.

***

يخبرها أنه لن يعانقها مجـددا. بذلك الصوت الرتيب وعبارته التقريرية يغلق الهاتف. أنفاسها مازالت على الجانب الآخر وحيدة تتزامن مع صوت الجرس القصير المنـذر بانتهاء المكالمة بغتة. تعلـم أنها ربمـا تكون آخر مرة تسـتمع لذلك الصـوت الحبيب. الخذلان يغمرها. تتلفت شاعرة أن المارة كلهم قد استمعوا لحديثهما

t.me/qurssan

وصراخهما الهاتفي. تغلق معطفها جيدا ململمة بقاياها المبعثرة داخل الأعين. تفكر في معاودة الاتصال قبل أن تتراجع. لن تتلامس يديهما بعد اليوم، لن تستنشق رائحته داخلها، لن تريح جسدها وسط نراعيه، لن يملأ ما بداخلها. تتأمل واجهة المحل الذي يعلن عن تخفيضات الملابس محاولة التوقف عن البكاء. بكلمة واحدة أخرجها من دفئه للأبد. الإضاءة الرخيصة تتلاعب من خلف الواجهة الزجاجية. كفها تعتصر الهاتف بعنف. فراشة ما تصطدم بالمصباح الرديء فيشتعل جناحاها لتهوى.

***

كانت أول مرة تأتي لهذا المكان الكئيب. تمد يدها باحثة عن نقود داخل حقيبتها لتدفع الكشف. يدها لا تتوقف عن الارتعاش وهي تفتش في محفظتها. تخشى أن تملأ المواد الكيميائية جسدها فتنهار بعدها. مازال الأمر في بدايته أو هكذا يقولون. لا تود أن تصير صورة باهتة لامرأة كانت. لم تعد تأمل سوى في ألم أقل. "عايزه فكة". ترد عليها موظفة الاستقبال غير عابئة بارتعاش يدها واضطرابها الملحوظ. تفتش أكثر داخل حقيبتها. تلمحه من بعيد خارجا من غرفة الأطفال في نهاية رواق المستشفى. لم يظهر اسمه على شاشة هاتفها طوال تلك الأعوام. تبتسم له. يداه محملتان بأوراق أشعة، روشتة، وكف طفل. ابتسامتها تتحجر فوق وجهها.

t.me/qurssan

يدير رأسه كأنما لا يراها مبتعدا. "عايزه فكة يا آنسة.. باقي خمسة جنيه" تقاطعها الموظفـــة. تتلفت حائرة وقد توقف ذهنها للحظات. تعاود النظر في الرواق الذي صار خاويا إلا من بقايا عطره.

***

تفتح عينيها. تغلقهما. فوق نفس الفراش. الآلام التي لم تعد تفارق جسدها كأنما توحدت معها. تحاول تحريك أعضائها قليلا دون نجاح. لم يعد هناك من خلايا تعمل سوى ما يمكنها من فتح وإغلاق عينيها. لا تتمنى سوى أن تحتفظ بالخلية التي تحمل ملامحه وعطره داخل رأسها. فليذهب ما عداه. شعرها المتساقط كله بجوارها دون أن يفكر أحدهم في تنظيفه. تفتح عينيها. تغلقهما.

***

ســـتخبرهم الممرضة في اليوم التالي أنها لم تجد ســـوى بضع مـــلاءات تعتلي الفراش. هاتف قديم بلا أرقام مســـجلة عليه. نافذة مفتوحة. وجناحان يحلقان دون توقف حول مصباح الغرفة.

t.me/qurssan

أيسل.. سحابة برتقالية اللون

اليوم تقرر بذلك الكبرياء الإلهي أنك لن تفتح سماءك لتلتقطني داخلها. بعدما قطعت كل تلك المسافة الطويلة تقرر أن الباب صار مغلقا لأن الجميع قد رحلوا ولم يعد هناك أحد ليدلني على مكانها. أظل جالسا أمام هذا الباب الضخم مريحا جسدي فوق السطح البارد. تتغير هيئة الباب مئات المرات في الثانية الواحدة. تتغير نقوشه والرسومات التي تملؤه. أحيانا حينما أطيل النظر أرى ما يشبه صورتي منطبعة داخله. الكثيرون يتحركون من حولي.

يمر أحدهم بجناحيه أمامي مسرعا ليدلف إلى الداخل. يختفي تماما. شكله غير مهندم والعرق الغزير يغزو وجهه كله كأنما خرج لتوّه من مسابقة للعدو. يتأملني مندهشا قليلا من جلستي أمام الباب المحظور ثم يهمس ببضعة أحرف متقطعة قبل أن يبتلعه الباب الذي سرعان ما ينغلق مجددا "تعالى غدا".

t.me/qurssan

لا شيء في يدي وسط جلستي الوحيدة سوى بقايا زجاجة عطرها التي أخذتها منها ذلك اليوم قبل رحيلها. كنت أتلذذ دوما بوضعها فوق فراشي كي أتمكن من الانسحاب داخل مجالها حينما لا تكون بجواري. يقولون إن الوجوه ستتغير لحظة رؤيتي لها بالداخل. فقط ما أوقنه أن رائحتها أبدا لن تتبدل. لن تكون بنفس العمر أو الاسم أو الملامح الذين عاشت بهم، لكنها قطعا ستملك نفس رائحتها الأثيرة التي اخترقتني مرارا. فقط لو يجعلوني أعبر الباب.

***

ما كانت تحبه (أيسل) حقا:

- أن تجلس داخل مقهى (إيليت) مراقبة قطرات المطر المتناثرة فوق زجاج النافذة بينما كوب (النسكافيه البلاك) يملأ قلبها.

- أن يصطدم جسدها بالماء البارد بينما الشتاء يغلف الأشياء من حولها متمتعة بالنظر إلى السخان الصامت وإغاظته.

- أن تحدثني في موضوع يشغل رأسها بينما جسدها العاري يعانقني بحدة.

ما كانت تكرهه (أيسل) حقا :

- أن تضطر لبعثرة محتويات حقيبتها فوق السلالم لأنها لا تدري أين مكان المفتاح.

- أن تضطر للسير فوق الأسفلت الساخن في أحد الأيام الحارة

t.me/qurssan

دون أن تتمكن من العثور على أية وسيلة مواصلات.

- أن تبـدأ في تعرية أفكارها أمامي فقـط حين يقرر هاتفي أن يدق لحظتها.

***

وسط السماء التي لا تملك نهارا أو ليلا، أدرك أن المزيد من الوقت يمر من مسار الغبار حولي أو التفاف بعض النسمات حول جسدي. صوت ما يخبرني أني يجب أن أنتظر.

يقترب مني قليلا. يدرك من جلستي التي تَيبستُ فيها أنه تركني كثيرا دون أن يأتي. يدعوني لمشاركته مشروب ما فوق سحابة برتقالية تتمدد جسدا مشدودا وسط الفراغ.

نعبر الباب. أسـتلقي فوق السـحابة الضخمة دون أن تبتلعني. مئات السـحب المموهة تتداخل مكونة ذلك الجسـد الضخم وسط السماء. يحدثني كثيرا عن ضرورة الرحيل لأن أجلي لم يحن بعد. "لا يمكنـك المجيء وحدك". وجودي هنا ليس مفهوما. أخبره أني أنتظر رؤيتها فقط وتلامس يدينا لترحل معي.

***

كانت (أيسل) تعشق الضغط على الزجاجة عدة مرات برفق كي يتناثر العطر فوق فراشـنا. أعلق مازحا "الأفلام اللي بتشوفيها".

t.me/qurssan

تكون قد التهمت شفتيّ قبل أن أكمل جملتي.

تجلس أمامي متأملة سقف الحجرة كثيرا. ثم فجأة تبرق الفكرة داخل رأسها فتحاول الاتزان فوق الأريكة لترسم نقطتين فوق السقف. لونهما البارق وسط الطلاء الأبيض. تنظر لي ضاحكة مشيرة للنقطتين "نجمتينا". لا أصدق أن أسابيع طلائي لذلك السقف ستتجدد من كثرة النقاط التي ملأته بها. "نجمتينا". أنعي عقلي الذي لم يجعلني أختار تلك المرة طلاء داكن اللون. "أرأيت كيف ينيران سمائنا". المرة القادمة لن أقوم بطلائه سوى باللون البني كي لا تفسده لي. "نجمتينا". ربما إذا أحضرت ذلك المنظف أتمكن من تخفيف لون النقاط الذهبية التي رسمتها فوق الطلاء. جسدها يقترب مني. "النجمتان ازداد بريقهما، ستمطر اليوم".

***

- إذن لن ترحل حتى يحين أجلك؟

- لا.

أتأمل هيئته المشوشة ونظراته لي. أعلم أنه هنا فقط لجعلي أرحل. أعرف أنهم بالداخل قد نفد صبرهم وأنهم أحضروني لتلك السحابة فقط كي ترهبني تلك الأرواح الصاخبة.

- أريد فقط رؤيتها. لم أتمكن من توديعها.

t.me/qurssan

- يمكنك التفتيش في هذا الركن. سيغزوك السأم قبل أن تتمكن من العثور عليها.

تلك الحافة الممتدة وسط البخار البرتقالي المكوِن للأثير من حولي. أصوات الأرواح الصارخة تنفذ إلى كياني كله. الروائح كلها امتزجت لتحيل الرياح كلها لمواد أولية تفتت الجزيئات بينها. صوت ضحكاتها أشعر به يتردد في المكان. صوت ضحكاتها بمجون. أدرك أنهم يعابثونني قليلا كي أياس وارحل.

أدقق النظر مجددا داخل السحابة التي أقف فوقها وتتناثر حولي. مئات الأجساد تتعانق ملتفة بعضها حول بعض. البعض ساكن كالجنين داخل كهف أمه، والبعض الآخر يتلوى دون توقف. حين أدقق النظر أكثر، أرى جسدين يرقصان على إحدى الأغنيات التي اعتدت سماعها حين كنت أذاكر. جسد آخر قابع في الركن مبتسما أو متألما لا أدري. أفتش أكثر فأكثر. ملامحها متناثرة فوق آلاف الوجوه، لكنها لا أحد منهم. يدي تنقبض على زجاجة عطرها أكثر فأكثر.

الوجوه حولي مازالت صارخة. أفكر في نداء اسمها. هل تدريه هي وهي هنا. هل يدركه أحدهم هنا.

***

تنظر لسقف الغرفة الذي لم يجف طلاؤه البني بعد. نظراتها

t.me/qurssan

نحوي غير مصدقة أني أعدت الطلاء وأفسدت كل نجومها التي رسمتها قبلا عليه. دمعتان تهبطان فوق خدها ممتزجتان بملامحها الذائبة. غاضبة تمسك ببقايا الطلاء البني الذي استخدمته وتصبغ به جسدها ووجها كله.

تنظر لي حانقة. تمسك بمسمارين دقيقين وتدفهما داخل نهديها برفق. "نجمتينا". تقولها ضاحكة.

تلقي بنفسها فوق الفراش دون حراك. أنسل بخفة لأجاورها ملتقطا جسدها الدافئ ما بين ذراعيّ. رائحة الطلاء التي دهنت به نفسها وقد جف تماما فوقها. قطرات الدماء تتدفق من موضع المسمارين.

للغرفة جدران. سقف بني لم يجف بعد منهمرة دموعه. جسدها المتيبس كتمثال فرغ من رقصة سريالية محببة. أنا جالسٌ محملق فيها دون حراك. أيادي متعددة للجيران تدق على الباب دون توقف. ورائحة ما عفنة بدأت في التسلل داخل المكان ثم صارت تتجول براحة أكثر.

***

تجلس أخرى بجواري لا أدري من أين أحضروها. تملك نفس ملامح (أيسل)، نفس الجزيئات المتلاصقة، لكنها ليست هي.

t.me/qurssan

يعابثونني. مازالوا يريدون رحيلي. لا أطيق وجود هذه بجواري. أمسك بزجاجة العطر ملقيا بها فوقي وفي الأرجاء كلها.

تتصاعد الأيدي من كل مكان. السحابة الضخمة المتسعة اتساع الكون تتفتت لآلاف النتف. تتساقط أسفلي فقط كي أهوى أكثر فأكثر. أمد يدي ممسكا بإحدى النتف البرتقالية. وجهها المحبوس يطالعني متألما قليلا أو ربما كان ضاحكا. نتفتت معا لأمطار برتقالية مؤديين رقصتنا وسط النسمات.

t.me/qurssan

اختفاء عازف التشيللو

في البدء كان الأمر غريبا بعض الشـــيء. العقربان يلتقيان معا باشتياق ويبدأ العازفون في اتخاذ أماكنهم تدريجيا. الملابس (الأسود في أبيض) حتى أثناء التدريـــب. يبدأ المكان في الازدحام بالناس. يتدافعـــون عند البوابة مظهرين تذاكـــر مقاعدهم قبل بدء العرض بنصف ساعة.

الأوركســـترا تبدأ في الاصطفاف على المســـرح الكبير خلف الســـتار. مزيج من الضوضاء لضبط الأوتار. يبدو مدير المسرح قلقا بعض الشيء. لم يأت حتى الآن عازف التشيللو الشاب. عازفو الكمان يجلســـون في أماكنهم والكرســـي الخاص بالتشيللو مازال فارغا. ينظر لســـاعته بقلق. صوت الحضـــور وقد بدأوا الجلوس في أماكنهم يزيد من توتره. يهمس ببعض الكلمات للمايسترو الذي

t.me/qurssan

يبـــدو غاضبا. يفكر في التأجيل عشـــر دقائق. لـــو رأى هذا الفتى أمامه لطرده بعد العرض مباشـــرة. لم يتأخر قط من قبل على أحد التدريبات فماذا عن العرض نفســـه. كان يجب أن يعلم منذ البداية أنه لا يمكن الثقة به. الفتى يرتدي الســـاعة في يده اليمنى. من يثق في عازف يضع ساعته في اليد اليمنى.

الأصوات في الصالة والهمهمات التي لا تتوقف عن التسرب ناحيته. يبدأ التوتر في الظهور على وجوه بعض العازفين. يتبادل الهمسات مجددا مع المايسترو ولكنها سرعان ما تتحول لحديث محتد وحركات يد عصبية منه. دقائق ستمر قبل أن يجبر على فتح الستار أو إرجاع النقود لكل هذا الجمع.

***

تلك اللحظات الثمينة التي تعلم أن مازال بإمكانك الاستلقاء فيها قبل أن يدق المنبـــه بجوارك مجبرا إياك على النهوض وبداية يوم آخر. تتسلل الموســـيقى لداخل أحلامك فتتخيل نفسك محلقا. يزداد امتزاجهـــا معك فتلتف حولك عشـــرات الطيور في تناغم جماعي. يبدأ ذهنك في العمل مجددا حينما تضاجع الموسيقى جسدك الذي لا يتحرك. ومع بداية تحريكك لأول ذرات داخلك، حينها فقط تبدأ في التنبه أنك ما زلت مســـتلقيا على فراشك وأن تلك الموسيقى تتهادى من خارجك.

t.me/qurssan

أفتح عيني قاطعا ذلك السبات الأشبه بالموت. ذهني مازال مشوشا. أترنح لعدة خطوات في الغرفة قبل أن أدرك أن الصوت يأتي من الخارج. زوجتي تنظر نحوي بشعرها الهائش وهي تراني أتوجه بخطواتي المتعثرة لباب الشقة المجاورة لنا. عشرات الطرقات التي أصوبها نحو الباب الخشبي دون وعي. يعمل عدم اتزاني والحرقة داخلي في ازديادها. صوت الموسيقى مازال ينبعث من داخل الشقة المجاورة دون توقف. يدي مازالت تدق الباب حتى آلمتني. لا صوت بالداخل سوى صوت موسيقى التشيللو الذي لا يتوقف. خطواتي تقودني لشقتي مجددا. أستكمل لعناتي على ذلك الصوت الذي أيقظني ناظرا في الساعة التي تقترب من الرابعة فجرا.

***

- الموسيقى لم تتوقف منذ ثلاثة أيام.

كلمات أقولها للضابط أثناء ارتشاف للقهوة داخل شقة جاري الخالية. الأرق المتسرب لملامحي وعدم اتزاني لا يعطيان الكثير من المصداقية لحديثي.

احتاج الأمر للاستعانة بصاحب العمارة كي يتمكنوا من فتح الشقة ومعاينة المكان. نتأمل الشقة الفارغة. الموسيقى تنبعث من المحيط كله لكن لا وجود لأحد أو حتى لمسجل.

t.me/qurssan

- خشيت أن يكون أحدهم مات هنا.

يتحدث الضابط عن الكثير من الإجراءات التي لا أعيها ولا تهمني كثيرا. الوسادة هي كل ما أرغب في رؤيته الآن. يرحلون بعدما أغلقوا المكان مجددا.

الصـــوت لا يتوقف داخل رأســـي. الأتربة التـــي تعلو الأثاث تخبرني أن الفتى لم يعد للشـــقة منذ أسابيع. لا أذكر منه الآن سوى وجهه المبتسم الضئيل وتدريبه لساعات على التشيللو. لكنها كانت ساعات نهارية تمنحني نوما هادئا حينما تتهادى الظلمة. أفرغ من كوب القهوة داعـــكا عينيّ. أتأكد مجددا أن زوجتي مازال بإمكانها سماع الصوت وأنه ليس فقط صدى متضاعفًا داخلي.

***

يقابلنـــي صاحب العمـــارة أثناء صعودي. كان جالســـا بجوار البواب يتحدث بعصبية تتناسب مع جسمه البدين. يشيح بيديه لاعنا تلك الموسيقى التي أقلقت سكان العمارة كلهم. لا أحد يدري مصدر العزف. لم يعد الفتى حتى الآن إلى منزله. حتى التشـــيللو الخاص به لم يجده أحد. لكن الموســـيقى لم تتوقف قط. "أهله في الخليج لا يأتون سوى في الإجازات ولا يوجد معنا رقم هاتف لهم. كان يطيل شـــعره. هل يمكن لأحد أن يثق في فتى يطيل شعره". هكذا يصيح غاضبا.

t.me/qurssan

كنت قد بدأت الاعتياد على محاولات اللحاق بساعة هنا أو هناك أثناء الليل قبل أن أنهض مجددا من جراء الضوضاء. يميل نحوي مخبرا إياي أنه سيقوم بعمل جلسة مع أحد الشيوخ المسموع لهم في المنطقة. "سنقوم بالتبخير". أهز رأسي متفهما. "الموسيقى مازالت تنساب من كل جدران الشقة". هكذا يخبرني.

بدأ بعض السكان في عرض شققهم للبيع. كنت قد رأيت اليومين الماضيين أسرة جاءت لشراء شقة في الدور العلوي لكن بالطبع تراجعوا بسبب الموسيقى. "سنقوم بالتبخير. هذا من عمل (اللهم احفظنا). صدقني يا أستاذي". ذهني المشوش لا يمكّنني أن أتناقش كثيرا. أهز رأسي مجددا قبل أن أصعد درجات السلم ببطء وتكاسل.

***

يختلط في ذهني إيقاع الليالي بالنهارات. شرائط حبوبي المنومة التي لم تعد تفارقني. لا شيء صار يميز ما يحيط بي سوى ذلك الضوء المتهادي وإن كنت في أحيان كثيرة أشعر أنه نبت في ذهني فقط.

لم تنجح محاولات صاحب العمارة المتكررة في التبخير وإحضار عشرات الشيوخ للقراءة. صارت الموسيقى تخالطني حتى أشعر أنها نابعة من داخلي. أصحاب الشقق المجاورة بدأوا في

t.me/qurssan

الرحيل. لم أكن أملك هذا الترف. زوجتي فقط من تركتني وذهبت لمنزل عائلتها القديم. أجلس وسط تلك الحوائط وحيدا. رأيته آخر مرة قبلما يحدث هذا الأمر بأسبوع. كان يحمل الكثير من الأوراق، شاردا، حتى أنه كاد يرتطم بي. ابتسمت له متحدثا. كانت ردوده مضطربة. نظر لي مليا قبل أن يدلف لداخل شقته. لا أدري لماذا تعاودني نظراته داخل ذهني دون توقف.

صار الجميع يتطيرون من العمارة. صاحب العمارة يجلس حزينا بجوار البواب على الدكة بمدخل العمارة يدخنان دوما. يحدثني طوال الوقت عن الأمر أثناء خروجي ودخولي حتى صرت أتفاداه. يخبرني أن جهاز الرد الآلي الخاص بالفتى يمتلئ بالكثير من الرسائل. لكن كل يوم كان يجدها قد قرأت. المنزل (مخاوي). صرت أستكمل صعودي جثة هائمة دون توقف. كانت أدويتي المنومة قد بدأت في أخذي لعالم آخر.

أنهض اليوم راقصا على الموسيقى. أحرك كل خلاياي على موسيقى (باخ) أشهر صولو كُتب للتشيللو. لا أدري لماذا صار تكرارها محببا لي. جسدي يتحرك. قدماي تتحركان دون إرادة مني. جسدي يقفز من مكان لآخر. يقوم بحركات لم ألفها من قبل. أتوقف قليلا ملتقطا أنفاسي من التعب. أسقط جسدي على الفراش مجددا مبتلعا المزيد من الحبوب الأخرى.

***

me/qurssan

خبر ضئيل في جانب الجريدة يحوي صورة الفتى وأخبار عن الموسيقى التي لا تتوقف. شهادات لبعض الناس.

***

ينظر مدير المسرح مجددا لساعته. نظرات المايسترو الغاضبة نحوه. تدق الساعة التاسعة. لن يمكن تأخير العرض أو تعديله لأكثر من هذا.

يُفتح الستار والعازفون ينظرون بعضهم لبعض في توتر ملحوظ. صمت تام من الحضور يخيم على المكان. تبدأ الآلات في العزف. تتصاعد ملائكية الكمان ليجدوا أن التشيللو ينساب صوته بينهم. تبدأ النظرات الحائرة بين العازفين عن مصدر النغمات لكنهم لا يتوقفوا. دقات قلب مدير المسرح تزداد حدة.

الصوت لا يتوقف متناغما مع باقي الأوركسترا.

***

كانت الساعة الحادية عشرة مساءً حين عدت مترنحا للمنزل. أنظر للعمارة التي باتت مهجورة ومطفأة الأنوار. يطالعني نور قادم من شقة عازف التشيللو. الكثير من الأوراق تتساقط من النافذة المفتوحة.

أعدو سريعا فوق السلالم نحو الشقة. الباب مفتوح لكن لا أحد

t.me/qurssan

بالداخل. فقط أكوام من الأوراق التي تحوي علامات موسيقية يكتظ بها المكان. الموسيقى مازالت تتسرب من الهواء. الأوراق تلتف حول بعضها البعض صانعة دائرة متراقصة على الألحان. أخرج من الشقة مغلقا الباب خلفي.

t.me/qurssan

أصوات المقهى القديم

تبدأ الصيحات في الوفود داخل الشـــوارع. أتعجل السير وسط الأجساد المتصادمة لعلني أتمكن من الوصول سريعا. لا أذكر حتى الآن ما جعلنـــي أتأخر لتلك اللحظة. هاتفـــي الذي صار مغلقا في جيبي لن يمكّنني من الاطمئنان على أحد. أنحرف بمســـاري لزقاق جانبي محاولـــة اختصار الطريق. المنازل التـــي بدأت في إطفاء أنوارها وإغلاق أبوابها الحديدية تزيد من توتري. أزقة كثيرة أعدو داخلها حتى فقدت الإحساس بقدمي، ذلك الصقيع البارد الذي يزداد كلمـــا تقدمت. تبدأ الأنوار في الخفوت مع إغلاق المحال ولا يتبقى سوى الإضاءة الشاحبة الكئيبة لمصابيح الطريق.

آلام داخـــل صدري تتصاعد من كثرة حركتي. أركن بجســـدي على جانب الطريق قليلا. شـــعري الملتصق بوجهي يعوق نظري.

t.me/qurssan

أصل لزقاق لم يعد هناك أحد داخله سواي. تبدأ الأمطار في الهطول لتزيد من سوء الرؤية. ملابسي المبتلة يعصف بها الهواء متزامنا مع رعشة جسدي.

صوت حركاتهم بأحذيتهم الثقيلة يتردد في المكان كله من حولي. أبدأ في سماع الحواجز الحديدية وهي توضع في الشارع المجاور لي. أسئلتهم للمارة التعسين العابرين أمامهم.

أنفاسهم الثقيلة تتردد في المكان كله متنقلة دون رقيب من ناصية لأخرى. أضغط بحركة عصبية مجددا على أزرار الهاتف الذي قد توقف تماما.

دقائق تتكوم لتمر كساعات وأنا ما زلت واقفة في مكاني لا أدري إلى أين أتحرك. من كثرة مساراتي المختصرة صرت لا أعرف أين أنا ولا أظن أني سأعرف إذا ظللت داخل تلك الطرقات الصغيرة. أخشى أن أخرج من تلك الأزقة فيمسكون بي أو أظل هنا فيأتون إليَ أيضا. صوت صراخ فتاة قد قبضوا عليها يفد نحوي محملا مع الهواء الثقيل.

أفتش وسط الأبواب الحديدية المغلقة عن أي بقعة يمكنني الاختباء بها حتى الصباح. المباني الرمادية تجيبني بصمتها وثقلها وسط الأمطار التي تزداد هطولا. يتراءى لي وسط الظلام ذلك المقهى الصغير القديم مازال مفتوحا. أدفع جسدي دفعا للداخل دون

t.me/qurssan

تفكير. الدفء الآدمي يتسلل إليّ ليشمل كل أجزائي.

نظرات الزبائن الجالسين نحوي وأنا أندفع للداخل، لحظات صمت لتلك الوافدة الجديدة ثم يعاودون حديثهم وضحكاتهم مجددا، ملابسي الملتصقة فوق جسدي المرتعش وقطرات المياه التي أدخلتها معي لهذا المكان الحبيب. صاحب المقهى جالس فوق الكرسي يرفع رأسه للحظات ليرى من القادم ثم يعاود نومه مجددا. أجلس على طاولة جانبية مهملة دون النظر لأحد. أنفاسي مازالت متقطعة وقلبي مازال يرتجف، أضع جثة هاتفي فوق المائدة مريحة رأسي للخلف.

يتقدم النادل نحوي بكوب قهوة واضعا إياه أمامي دون أن أطلبه. "تبدين كفتاة تشرب القهوة كثيرا" يقولها مبتسما. الأدخنة الدافئة المنبعثة من الفنجان ومن كلماته. أبتسم.

صوت ما يتهادى نحوي من مذياع قديم لأغانٍ قديمة لا أظن أني قد سمعتها قبلا في حياتي. ربما اندثرت يوما أو اندثرت أنا. القهوة التي تتساقط داخلي تملؤني بموسيقى محملة بالشجن. أبدأ في تأمل المكان حولي.

الأجراس مازالت تدق بالخارج ولا يبدو على أحد هنا سماعها والتوتر سواي. يتحدثون، يدخنون، بعض الفتيات يرقصن على صوت المذياع. يقف النادل بجوار بيانو قديم في ركن المكان. يمسح

t.me/qurssan

الأتربة من عليه لتتكوم مجددا. يمارس عمله هذا دون توقف. لا يقطعه سوى نظراته نحوي كل عدة دقائق مبتسما أو قهوة يمررها على أحدهم قبل أن يقف مجددا أمام البيانو ليستكمل مسحه.

الأمطار تزداد بالخارج لكن تلك المرة تملؤني الصحبة الجالسة حولي ببعض الدفء. أنتهي من قهوتي سريعا، لا أود التفكير فيما سيحدث لو تحركت للخارج مجددا. يقترب مني النادل ليسألني إذا أردت وضع معطفي بالداخل. غرفة صغيرة ملحقة بالمكان تحوي معاطف وحقائب كثيرة. أبتسم أن لا.

- أشيائي بداخله.

- لا بأس. يوجد عندنا داخل الغرفة أشياء كثيرة.

- أشياء هامة بداخله.

- أشياء يبحثون عنها؟؟

- ...

يبتسم ليتركني محضرا كوبا آخر من القهوة. عيناه مثبتتان عليّ طوال الوقت، وجهه الباسم وملامحه المتفهمة لا تفارقه.

تتزايد الأصوات بالخارج. شـــعور ينتابني مع ازدياد الأمطار بقرب مجيئهم. أنهض من مقعدي متجهة نحوه بجوار البيانو.

t.me/qurssan

- يمكنني العزف عليه إذا أردت.

يستكمل مسحه للأتربة دون النظر نحوي.

- لو سمعوه سيأتون

أقف بجواره صامتة قليلا. من الخارج صوت الحواجز الحديدية مازال مستمرا كأنما صار على بعد شارعين فقط. يلاحظ وقفتي المترددة.

- تودين وضع أشيائك داخل الغرفة قبل أن يأتون؟

- اقتربوا كثيرا هم، ها؟

دون حديث يتقدمني متجها نحو تلك الغرفة الصغيرة. من خلف كل المعاطف المعلقة أرى صناديق خشبية كثيرة تخص الجالسين، يفتح بعضها ليريها لي. قصاصات ورقية ملقاة بداخلها، أعقاب سجائر، وردة مر عليها أيام حتى تيبست. أخرج ما بداخل جيبي لأضعه على طاولة أمامه؛ جواز سفر، صورة قديمة، وقصاصة ورقية تحمل اسما. يقلب في أشيائي بفضول ليخبرني أنه يجب وضعها داخل صندوقه الخاص. يجب إخفاؤها عنهم تماما. يفتح دولابا مهملا بالركن، يلتقط صندوقا قديما ليفتحه. تنبعث موسيقى البيانو في المكان كله. أفزع فيحتضن جسدي. أتعلق برقبته كما لم أتشبث بأحد من قبل ونبدأ في الرقص معا.

t.me/qurssan

سـيتمكنون من سماع صوت الموسـيقى المنتشرة في الفضاء. سيجدون المقهى الصغير الحبيب ويدخلونه. سيرتج أسفل أحذيتهم الثقيلة بجدرانه الخشبية القديمة. ستتوقف الضحكات والحديث داخل المكان بغتة. سيفتشـون الصناديق وتتطايـر القصاصات مختلطة معا. سـيجدون ذلك الصندوق المغلق يحوي جواز سفر، قصاصة ورقية، وصورة مهترئة لفتاة ترقص مع فتى على أنغام بيانو مازال يصدح في المكان.

t.me/qurssan

اعوجاج

يداه اللتان تفحصان الأشعة الضوئية جيدا، دقائق صمت تمر بيننا يزداد توتري فيها. نظراته اللامبالية تتوهج أسفل إضاءة غرفة العيادة الصاخبة، نظرات من امتلأت حياته بعشرات الأجساد مثلي تستلقي أمامه يوميا راغبين في الشفاء. يتفحص بعينيه الباردتين انحناءات العظام المصورة أمامه.

تعاودني آلام ظهري أثناء الجلوس أمامه بلا حراك. كفي التي صارت باردة كعادة توتري والصمت المخيم يعبث بي. أينبغي عليّ إخباره أن تأمله طويلا لما بداخلي يؤلمني هكذا؟

يلقي أوراق الأشعة بإهمال فوق مكتبه، يخرج ورقة ليخط عليها الكثيـــر من الكلمات والتحويل لأطباء آخريـــن، عيناه الباردتان لا تتوقفان عن تفحصي بين الوقت والآخر.

***

t.me/qurssan

لا أدري لمـــاذا صار زوجي في تلك الأيـــام يطيل من نظراته لجســـدي كله. يكفي أن أنهض لإحضار كوب مياه أو التقاط كتاب مـــن فوق المنضدة حتى يظل محدقا في ظهري وانتصاب ســـاقيَ. يكفيني وقتها التفاتة ســـريعة حتى يتظاهر بالانشـــغال بشيء آخر وعدم النظر نحوي.

يقلب في قنوات التلفاز أو يشـــرد نحو زجـــاج النافذة، كأني لم أشعر به منذ قليل وهو يخترق ثنايا رجليَ بعينيه هاتين. أحيانا كان يســـتمر في الحديث كأنه لم يكن يحدق منذ ثوان في تفاصيلي. حين كان يراني غاضبـــة، كان يبادلني نظرات متعجبة مقلبا في قنوات التلفاز دون حديث.

ما كان يجعلني قلقة طول الليل دون أن يضاجعني النوم، هو تفكيري الطويل في براعته الشديدة حين يتحول من النظر نحوي إلى فعل شيء آخر. بلغت به براعة الإخفاء، أنه في إحدى المرات وبينما كان يحدق في رجليَ بضيق كعادته، التفت فجأة لأجده واقفا داخل غرفة أخرى يتحدث في الهاتف ضاحكا. نظراتي المندهشة لسرعة انتقاله تلك وأنا أكاد أقسم أنه كان يتفحصني منذ دقائق قليلة جعلتني بعد بحث مطول أتدرب للعديد من الساعات على جعل التفاتتي أكثر سرعة وحِدة لكشف الأعين الناظرة نحوي.

***

t.me/qurssan

يقيس الطبيب المسافة مجددا، لثالث مرة ربما، متنقلا ما بين جسدي المستلقي والأشعة المعلقة أمامه. سنتيمتران فارق طول ما بين الرجلين.

أشعر بضحكاته تتردد داخل غرفة العيادة رغم أنني لا أسمعها. مازالت قياساته وهو ينطقها ترن في أذني دون توقف. أنهض من فوق الفراش شاعرة بازدياد آلامي الشديدة.

وجهه متجهم لكني أشعر به منغلقا على ابتسامة ساخرة. أقسم أني سمعت ضحكاته ترن في المبنى كله. أيمكن أن تخرج ضحكاته دون انفراج الفم.

- لن يختفي انحناء عمودك الفقري عما قريب. لا داعي لكل تلك الأشعة.

أغمغم بشيء ما. نظري مثبت على جانب فمه الآخذ في الاتساع.

- لم تشعري بهذا الفرق من قبل؟ هو غير ملحوظ.

نظراته مازالت صارمة، لكن الفم لا يتوقف عن الانفراج.

***

خارج ذلك المبنى كان الجو خانقا للغاية بالنسبة لي. أتعثر قليلا أثناء سيري. ربع قرن مرّ علىّ دون أن أدرك أني هكذا، فلماذا التعثر الآن؟

t.me/qurssan

يرتطم بي جسد أحدهم. تطالعني فجأة ملامح صديق قديم لم أره منذ زمن. الشارب العتيد وسنوات مرت ببطء تزحف على ذاكرتي الآن. يقف أمامي ذاهلا، غير مصدق أنه يراني بعد كل تلك السنوات.

تتدفق الكلمات من فمه. يتحدث كثيرا عن ناس رحلوا من أصدقائنا وآخرين بقوا. رأسه يميل أكثر ناحية اليمين وحديثه يزداد طولا.

جسده كله يميل أكثر فأكثر. نظرات ساخرة أطالعها في عينيه. لم أشعر بنفسي إلا وأنا أعدو مبتعدة وصيحاته المندهشة تعدو خلفي. أكان يجب أن تنحني رأسه كل ذلك الانحناء وهو يحدثني حتى كاد يلامس الأرض؟

***

أظل جالسة لأيام دون خروج. جسدي ملقى فوق الفراش متعبة دون رغبة حقيقية في النهوض أو الالتفات لأي شيء. تاركة نظرات زوجي الزاهدة تدنس جسدي كله.

صوته الهامس طوال اليوم للتحدث بصوت خافت في الهاتف مع العشرات من الفتيات المكتملات.

لا أمضي طوال يومي سوى في مراقبة جسدي داخل المرآة مُقيسة زوايا انحنائي التي تزداد.

t.me/qurssan

ألمحه بطرف عيني مازال جالســا أمام جهازه، عالمة أنه يتأمل صورا لعشرات السيقان المنتصبة باكتمال وتساوٍ.

احتاج الأمر لأكثر من مساعدة وكثير من العويل والصراخ كي أتوقــف عن تحطيم ما حولي وتقصيــر الأرجل اليمنى للأثاث في المنزل بمقدار سنتيمترين.

t.me/qurssan

أصداء مدينة بعيدة

تتوقف السيارة في منتصف الطريق. تفشل محاولاتي كلها في محاولة تشغيلها مجددا. البرد القارص بالخارج يدفعني لإعادة المحاولة عشرات المرات قبل أن ينتابني اليأس تماما. أترك البقعة الدافئة الوحيدة في هذا المحيط وأقرر الترجل. الضباب الذي يغلفني من كل جانب لا يمكنني من الرؤية سوى لبضعة أمتار فقط. الهواء الذي سرعان ما استباح جسدي يدفعني دفعا لإغلاق معطفي جيدا محاولا فتح عيني كي أسير بمحاذاة الرصيف. لم أكن أدرك جيدا أين أنا، أظن أني ما زلت عند مطلع الكوبري. أنظر في ساعتي بقلق. لا أبغي التأخر ولا أعلم إلى أين يقودني هذا الطريق وسط تلك الغيمة التي أتلفح بها. بضع خطوات في المسار كانت كافية ألا أرى سيارتي حينما التفت للخلف كأنما قد ابتلعت تماما. أحاول

t.me/qurssan

البقاء ملاصقا للرصيف خوفا من أن تعصف بي أي سيارة مارة بالطريق رغم أن الكوبري في هذا التوقيت يبدو مقفرا تماما. كانت عاصفة ضبابية ربما هي الأسوأ منذ أتيت لهذه المدينة. خطواتي تبدأ في التعثر شيئا فشيئا من كثرة مقاومة جسدي للرياح الملتفة حولي. أحاول إخراج هاتفي من جيبي بيد متجمدة لكنه يشير لعدم وجود أي شبكة في المكان. جسد معدني ميت بلا حراك قد صار معي. أستند قليلا على السور الحديدي محاولا التقاط أنفاسي.

تبدأ في الظهور أمامي ملامح لمقعدين نبتا وسط الرصيف، عمود حديدي يحيط بهما وما تبدو أنها لافتة أمامهما. محطة للحافلات ربما؟ أقترب ببطء وقد بدأ الأمل يسري مجددا داخلي. تدريجيا أبدأ أكثر فأكثر في تمييز الموجودات. محطة حافلات فوق كوبري هو شيء لم أره من قبل. أُسقط جسدي فوق أحد المقعدين قبل أن يعصف ذهني المزيد من التفكير. هل يمكن أن تعبر حافلة أو حتى سيارة لتخرجني مما أنا فيه. الطريق يبدو مقفرا في مثل تلك الساعة ومثل تلك الأجواء. لا مجنون سواي قرر الحركة في مثل هذا اليوم. كانت الأجراس تدق طول الصباح منذرة بعدم الخروج في مثل هذا الطقس. ساعات تفصلنا عن غياب الشمس الباهتة التي لم أعد أميز منها سوى احتضار أشعتها عالما بأن الأمر سيزداد سوءا بعدها. يجب أن أصل هناك قبل شحوب الشمس الأخير ودق الأجراس.

t.me/qurssan

أجلس محـــاولا التنفس بعمق. على الأقـــل وجدت ملاذا مميزا يمكنني من معرفـــة مكاني إذا عاود الهاتف الحيـــاة. أحاول تأمل المكان من حولي. الأتربة تغطي المقعد والعواميد المحيطة به كأنما لم يجلس هنا أحد منذ ســـنوات عدة. يـــزداد قلبي انقباضا بأن تلك المحطة قد تكون مهجورة، لم يتوقف أحدهم فيها لزمن طويل.

دقائق تمر قبل أن أراها هناك في منتصف الطريق. ربما كانت تقف هناك منذ لحظـــات أو منذ البداية. لا يمكنني التحديد لأنني لم أعـــد أرى أبعد من موضع قدمي. واقفة ضامة أناملها على ما يبدو أنه عقب سيجارة مشـــتعل. تحاول تحريك قدميها سريعا بحثا عن القليـــل من الدفـــء. تلتفت للخلف ناظرة نحوي. شـــعرها الملتصق بوجهها ومعطفها الأســـود الذي يغلفها جيدا عن الهواء متناصا مع ذلك البياض من حولنا. "لا أحد سيمر. أشعر بهذا". تقولها بكلمات مضطربة متفرقة.

أومئ برأسي دون إجابة. ثوان وأفكر فيما سيحدث لو عبرت إحدى السيارات الآن. أشير لها أن تجلس فوق المقعد المجاور لي فلا يبدو أنها رأتني. تمسك بعلبة سجائرها وتلوح لي بها من بعيد. أشير لها أني لا أريد.

تتقـــدم نحوي ببطء. "يحتاج الأمر لبعض موســـيقى (الجوثيك)

t.me/qurssan

اليوم. تســتمع إلى (الجوثيك)؟". أشــير أن لا. تجلس على المقعد المجاور لي بلا حراك.

تمتد يدها نحو حقيبتها السوداء مخرجة (ترمس) قهوة ساخنة. تقربه بيدها مني داعية. ألتقطه داخل كفي. لأول مرة أشعر بالحرارة تسري في جسدي لتمكن يدي من الحراك مجددا. أمرره على فمي لثواني ثم أتركه لها.

تحاول إزاحة الشــعر الملتصق بوجهها للخلف ثم ســرعان ما تجلس صامتة مرتشــفة القهــوة على مهل لنتشــارك فيها لدقائق بطيئة.

أنظر في الساعة مجددا بقلق. تقلدني ناظرة في ساعتها "سنتمكن من الوصول في الموعد لا تقلق". أنظر نحوها شاردا.

دقائق صمت تمر قبل أن تجذبني ناهضة "لا أحد سيمر.. يجب علينا السير بأنفسنا".

نبدأ في التحرك ببطء مجاورين للســور. نترك المحطة، الملاذ الوحيد الذي كان محددا في تلك البقعة.

ازديــاد ثقل أنفاســنا يخبرنا أننا ربما كنا فــي جزء صاعد من الكوبري. الضباب حولنا يزداد كثافة.

t.me/qurssan

تتوقف مقتربة من السور "من المؤكد أن المدينة تقبع في الأسفل". أحاول النظر معها لكن تصعب رؤية مسافة مترين مني فماذا عن أسفل الكوبري. "لا تقلق سنتمكن من العبور قبل أن تدق الأجراس الأربعة وتغلق البوابات". أنظر لها دون أن أنطق.

تبدأ خطواتنا في الإسراع قليلا. تقترب مني بعدما كنا نسير متوازيين. كلما ازدادت خطواتنا كلما بدأت أجسادنا في التلامس قليلا من جراء التعب. تبتسم. تخرج قفازين من حقيبتها لترتديهما. أبتسم.

"حينما نصل سأجعلك تستمع للـ(جوثيك). لدي الكثير من التسجيلات بداخل حقيبتي". أضع يدي المترددة حول كتفها كي أمنحها مزيدا من الدفء. ترنو ببصرها نحوي ضاحكة وهي تميل برأسها فوق كتفي. خصلات شعرها ترتطم مع حركتنا بوجهي لأستنشق رائحتها داخلي.

صوت الجرس الأول يبدأ في التهادي نحونا. دقات مكتومة لكنها اخترقت توترنا. نتبادل النظرات القلقة. أمسك بيدها وأبدأ في العدو. بطء حركتها كان يؤخرني قليلا. لا أتمكن من معاودة النظر نحو وجهها كي لا أفقد سرعتي. سرعة أنفاسها فقط هي ما تؤكد لي أنها بخير.

t.me/qurssan

من المؤكد أنه قد مر قرابة ربع ساعة على عدونا قبل أن يبدأ الجرس الثاني في الدق. "ستغلق الأبواب" أقولها في قلق. نزيد من خطواتنا. "يتبقى جرسان".

سيارة تعبر سريعا بجوارنا. ألمح فيها بقايا سيارتي لكني أطرد الفكرة. نلوح صائحين بعنف لكنها تمر دون توقف. صوت خطواتنا المرتطمة بالطريق اللانهائي. لم أعد أدري أنقترب أم نبتعد. أبدأ في رؤية ملامح من المباني أسفل الكوبري للمدينة. سنقترب. كان هذا حين داهمنا الجرس الثالث.

تتوقف فجأة جاعلة جسدي كله ينتفض. تترك يدي ذاهبة للسور وتقف على حافته. "لم يعد هناك وقت.. اقفز معي". أقترب مترددا. "لن نتمكن". "لا وقت". "لن نتمكن".

تلتفت نحوي "سأجدك في المدينة.. اقفز خلفي". أحاول الإمساك بيدها كي أمنعها. لحظات قليلة ولا أجدها أمامي. لا شيء سوى الضباب الثائر كأفعى تلتهمني. الصمت عاد ليغلف المكان كله. لا شيء سوى صوت أنفاسي المتلاحقة.

أقترب حثيثا من السور. رائحة شعرها مازالت داخل جسدي. أقف مترددا على حافة السور. أهبط من عليه. أعاود الصعود مجددا. الغيمة التي تستعد لالتهامي. أحاول الانتصاب رغم جسدي المرتجف. من بعيد يتهادى نحوي صوت الدقات الرابعة للأجراس.

t.me/qurssan

أرض أخرى

t.me/qurssan

t.me/qurssan

ذات الشعر الغجري

وقفت أمام مرآتها لساعات طويلة متأملة ملامح وجهها بدقة كأنما تراه للمرة الأولى. تساءلت بداخلها لماذا لم يطأها أحدهم حتى الآن. شعرها المنسدل يغطي المسافة الفاصلة بين الواديين.

حينما كانت تسير وسط القرية كان الجميع يتهامسون عن آلاف الخادمات اللاتي يمسكن بشعرها جيدا كي لا يطأ الأرض. الآلاف يصطففن على الجهتين ثم يرفعن ثقل الشعر في نفس التوقيت كي لا يختل اتزانها. لا ترى الواحدة منهن البداية ولا النهاية، فقط يسمعن الأقاصيص التي رددها السابقون عن طوله الذي لم يره أحدهم مكتملا من قبل.

لم تكن تخرج كثيرا لشوارع القرية منذ كانت صغيرة. وحين تضطر للظهور كانت تنتقي الوقت فجرا كي تتمكن من السير بلا زحام.

t.me/qurssan

الخادمات تأتين فجرا ليساعدوها في السير على ضفة النهر. تقف فوق إحدى الصخرات وتمتد خيوطها السوداء على طول النهر الجاري. كان المشهد يمتد أمام الشعراء حتى انعكاس أشعة الشمس على اللون الأسود، تجففه ثم سرعان ما تعاود الرحيل لمكانها مختبئة من الأعين العاشقة.

حين كانت تشعر بوحدتها كانت تبكي كثيرا، لتغطي مياه عينيها الفواصل ما بين الشعيرات. الكثيرون قد جاءوا عبر السنوات ليضاجعوها بعدما سمعوا صوت بكائها الذي يمتد كل يوم مخترقا الهواء كله. الجميع قد أسره شعرها الممتد لآلاف الأميال. يحتضنونه. يعبثون به لكنهم أبدا لا يتمكنون من الوصول لجسدها.

كانت الفتيات يصيبهن الضجر بعد رحلة النهر الصباحية فيرحلن وتبقى وحيدة داخل منزلها. تعبث في شعيراتها تائقة لملمس ذراعين يعانقانها وشفتين يعبثان بقلبها. تتذكر وحدتها فتستكمل البكاء.

كانت تراه كل يوم جالسا فوق الصخرة المقابلة حينما تأتي قرب النهر. لم يكن يقترب منها مثل الباقين. ينظر نحوها ويلتقط فرشاة لرسم شيء ما لا تراه. عيناها تدققان في ثنايا ملامحه. تنظر له

t.me/qurssan

بحميمية. لكن شـــعرها كان يشتت النظرات كلها لخصلاتها المبللة والفتيات المصاحبات لها.

تغمض عينيها ليلا متخيلة فرشاته تسري فوق جسدها اليابس. تتدفق مياهه داخلها صانعة وديانا تتوق لها. تفتح عينيها لتتأمل منزلها الخاوي. تبقى صامتة.

بمرور الأعوام انفضت الفتيات اللاتي يحملن شعرها كل يوم. لم تعد تتمكن من ترك منزلها وملاقاة النهر مثلما اعتادت. امتدت شعيراتها السوداء المجعدة لتغزو المكان كله وتلتف حول المرآة وحول جسدها معيقة رؤيتها.

جفّ الجسد وبدأت بعض الشعيرات البيضاء في الظهور على طول الصحاري داخلها تعلوها بعض أعشاش مهدمة لغربان قد قررت المكوث هنا داخل شعرها.

لم يعد هناك أحد يأتيها ورغبة امتلاء رحمها قد تبخرت بمرور السنوات، لم يعد هناك من يستمع لأنفاسها سوى الغربان وفراخها. بقيت رغبة رؤية النهر والفتى الرسام كحلم يداعبها كل ليلة.

ســـتكثر الغربان في المدينة وقد وجدت أعشاشا لها الآن داخل خصـــلات الفتاة. يتضاعف عددها في ســـماء المدينة وقت الفجر.

t.me/qurssan

صوت نعيقها صار يوقظ الأطفال من سباتهم ويتطير العجائز من لونها الأسود الذي صار يتخلل الهواء.

سيتحدث كل من بالقرية عن غضب شديد قد ألمّ بهم. يبدأ الحديث همسا ثم سرعان ما يستشري في المكان كله. تبدأ المحاصيل في التآكل. يزداد الجائعون في كل مكان. تتحول القرية شيئا فشيئا لمقابر من كثرة النعيق وسحابة الغربان السوداء المنبعثة دوما في السماء.

يأتي الفتى حاملا فرشاته كل يوم على ضفة النهر. جسده الذي صار منحنيا بمرور تلك الأعوام. ينظر للصخرة الخالية منها. يبقى جالسا منذ الفجر حتى شحوب الأشعة بانتظار رؤية عينيها الحانيتين.

تجلس العجائز داخل القرية المقفرة محاولات تذكر أين تقطن ذات الشعر الغجري. يتحدثن طوال الوقت عن تطيرهن منها منذ كانت طفلة. لم يجرؤ غراب على مجيئه سمائهن من أزمان بعيدة حتى هرمت وصارت منزلا لهن. تتذكر بعضهن كيف كن يحملن ثقل خصلاتها طوال اليوم. كيف كن يضطررن لقص شعورهن كي لا تصبح أكثر طولا منها وكيف كان هذا دوما مثار سخرية رجالهن وهم يقضون طوال اليوم في مشاهدة الفتاة ذات الشعر

t.me/qurssan

الطويل. يتبادلون الهمسات عالمين ما يجب عليهم فعله الآن.

قواها الخائرة من السن وقلة السير أقعدتها في منزلها. تبدأ في سماع خطوات قادمة نحوها. كان الفتى الذي طالما رأته على ضفاف النهر يتطلع إليها من النافذة. لأول مرة تلتقي نظراتها بأحدهم دون أن يتأمل شعرها. كانت عيناه دامعتين. يدققان في ملامح بعضهما البعض للحظات. يضع كفه فوق النافذة ثم سرعان ما يرحل.

أصـــوات همهمات تـــرج المكان من حولهـــا. المئات يتحدثون بصوت مرتفع عن طول الشـــعر المسموح به في قريتهم. لم تتمكن مـــن الرد أو حتى الهروب. صوتها صار واهنا مع وهن الجســـد. مئات الأشـــخاص يمتطونها مقتلعين جذور ذلك الشـــعر الملعون. المـــواد الحارقة تُلقـــى فوقها. لا تكف الخصـــلات عن التلوي في كل مكان. تتساقط الأعشاش وســـط تحليق الغربان اليائس حولها. ساعات دامية تمر قبل أن يرحل الجميع مخلفين جسدها ملقى أرضا وبضع خصلات ماتزال موجودة لا ترتقي لطول كتفيها.

لم يعد أحد يعرفها حين سارت ذات مساء فوق ضفة ذلك النهر. تمتـــزج في مياهه امتزاجا أخيـــرا لتضاجعه قبل أن تغوص داخله تماما.

t.me/qurssan

سـيتحدثون فقط بعدها عن تلك الفتاة التي صارت تسير كل يوم علـى ضفة النهر دون أن يراها أحد. سـيعرفونها فقط من رائحة الرمـاد المتصاعدة منها التي تغلف السـماء وصوت الغربان التي مازالت تسير خلفها.

t.me/qurssan

اختراق

من بين البقاع التي تزخر بها قريتنا، كان دوما هذا التل الصغير هو ما يتحمل اندفاعتنا الرجولية. لا أحد يدري تحديدا متى تكوّن هذا المرتفع. أكوام من المخلفات كانت تتراكم بالمدى، سرعان ما غطتها الرمال والطينة متصاعدة مكونة هذا التل. صار بعد مرور فترة من الزمن مكانا مميزا لفتيان القرية للتباري في القفز من أعلاه. ما كان يثيرني حقا هو لحظة اندفاعي من عل وهبوطي وسط البركة الطينية القابعة بشهوتها لاستقبال اختراقي لسكينتها.

في وقت الظهيرة، تتعالي الصافرات بين الفتيان. حين تسمع الصافرات والنداءات التي تصدرها الأفواه متصاعدة من طرقات القرية، كنا ندرك أننا جميعا في سبيلنا للتجمع عند المرتفع الطيني.

t.me/qurssan

أهالـــي القرية يتابعون تجمهر أجســـادنا الفتيـــة حول المرتفع. نظراتهم الحادة نحونـــا. بعض الضحكات المختلســـة للفتيات من خلف النوافذ الخشبية. أحد (المستجدين) يقف بعيدا قليلا عن دائرتنا مشـــاهدا ما نفعله منبهرا بحركاتنا. أحدهم يقف فوق المرتفع متأهبا ثم ســـرعان ما يقفز في هبوط رائع يستدعي تصفيقنا وحفاوتنا به. آخر ممن لم يتقنوا القفز بعد من فوق المرتفع، يغوص داخل الطين في ســـقطة (عشيمة) أخرجت أهلتنا الساخرة ووضعته في مصاف من لن يقدموا على هذا مجددا.

أقف فوق الكومة. تتجه النظرات نحوي. دقات قلبي المتسارعة. لحظات وأرتقي لاحتضان السماء.

***

عيناها كانتا تطالعاني دوما من خلف النافذة الخشبية. ابتسامتها حين تشـــاهدني أثناء قفزاتي وتصفيقهـــا حين تلمس قدمي الأرض الطينية بمهارة.

اليوم تطالعني داخل رأسي. حفيف ثوبها. إمساكي لأناملها أشبه بطفل يحبو داخل الكون.

أقف بجوار أحدهم ممن يكبرني بعشرات السنوات واضعا قدميّ المغلفتين بطبقة طينية رقيقة بجواره. تستمر قدمي في التعملق حتى تدهسني أسفلها.

t.me/qurssan

أثيـــر عتيق تخلفـــه ضحكاتها وهـــي تتأمل جســـدي الضئيل متصاغرا.

***

أبدأ في محاولة تعلم بعض الحركات الجديدة. أقف فوق فراشي في غرفتي مستمتعا بقفزي الخلفي الذي أنوي تطبيقه في الساحة اليوم.

أمي مازالت تطاردني بحديثها المحموم عن اتساخ ملابسي الدائم بسبب تلك الألعاب. تخبرني أن تلك الألعاب مخصصة للأطفال وليس لمثل من في سني. حين يزداد خوفها علىَ وتصر على إبقائي داخل المنزل، كنت أقف طوال الوقت فوق فراشي مستمتعا بسد المسافة ما بين صعودي لأعلى وارتطامي بالأرض.

صوت الصافرات والنداءات يبدأ في التوالي فأغافلها للخروج. تبدأ أجســـادنا في التجمع اليومي حول المرتفع. أحدهم يأتي بحركة دورانية. يقف أعلى الكوم ثم يدور حول نفســـه مرة واحدة قبل أن يغرس قدميه وســـط الطين. الآخر مازال يحاول تقليد نفس الحركة دون توفيق كبير. والكثير ممن اختلطت أســـماؤهم واندفاعاتهم في رأسي.

أقف فوق الكوم بقدمين معكوستين. أبدأ في قفزة خلفية لتضعني

t.me/qurssan

في مصاف المعجزات. ثوان وتتسع الفجوة بيني وبين الأرض الطينية وسط تصفيقهم الحاد.

***

تقبع ما بين يدي ناظرة نحوي مستسلمة. الطين يغلف جسدها كله. أمرر يدي فوقها لأنييه كله.

تغلفني حرارة جسدها وابتسامتها المطمئنة. قبلاتنا الدافئة الممتدة. استقبالها لمضاجعتي وسقوطي داخلها (بحنان) أزيد من احتضاني لها كي أخبئها داخلي.

رأسها المنصهر داخل صدري ليتعانق مع دقات قلبي. تغمض عينيها مبتسمة في نشوة. الهواء البارد يستكمل صفعه لوجهي دون توقف.

***

تلك الأصوات التي تبدأ في ملء المحيط كله. العربة الضخمة تخترق الطرقات الرملية الضيقة ملقية بسائل أسود لا يلبث أن يتجمد ببطء حول أقدامنا أثناء عدونا خلفها.

يبدأ بعض عمّال البلدية في إقامة الحواجز كي ينتهوا من عملهم. أجسادنا الناظرة نحوهم. أعدو خلف العربة غير مبالٍ بغوص قدمي داخل هذا السائل اللزج. أحدهم يمسك بي ليبعدني عن الطريق.

t.me/qurssan

يبقى صوت العربة وحركة العمال مستوليا على رأسي.

***

نظراتها القاسية نحوي. "لماذا لم تأت أمس؟؟". كان ذهني شاردا تمامـــا. ادرك انها اول مرة اتامل فيها ملامح وجهها حين تغضب. "انتظرتـــك طوال اليوم". لم تكن انفراجة فمها بتلك الحدة من قبل. ثوان تمر قبل أن أفرغ من مضاجعتها. "انتهيت بســـرعة هكذا؟؟". لهاث شـــهوتها الذي لم يشبع بعد. أشـــيح بوجهي بعيدا عن نظرها ضجرا من حديثنا الذي صار مبتورا.

أعـــاود النظر لعينيهـــا مجددا. ينفلت جســـدها مـــن بين يدي تدريجيا.

***

لـــم يعد هناك من نداءات ولا صافرات. نتكوم بجوار حائط أحد المنازل طوال اليوم. الشارع الأسفلتي صار يضايق جلستنا. لم يعد للتل حتى أي وجود. الطـــرق الصلبة صارت تعوق أي محاولات قفز لنا. الأشعة الحارقة لا تبغي تركنا وشأننا. تبحث أعيننا عن أحد الأركان لعلها تمتلئ باللا شيء.

***

t.me/qurssan

أصعد بخطواتي المتثاقلة فوق الطابــق العلوي لمنزلنا. لم تعد عيناهــا تلتقياني من خلف النافذة منــذ رأيتها آخر مرة. أحاول ألا أنظر للسطح الأسود أسفلي. أحاول استرجاع قفزتي الخلفية.

أتذكر حفيف ثوبها الدافئ للحظــات. أنظر لصلابتها. تلفظني. أقفز. أهوى لأعلي.

t.me/qurssan

قطرة منزوية داخل فناء

أخبرها حين صارت قطرة فوق الفرع العالي لشجرة منزله، أنه يوما ما سيتسلق تلك الشجرة كي يلتقطها من أعلى. يمسك بها جيدا بين يديه. يعدو مسرعا نحو غرفته دون أن يراه أحدهم ودون أن تتسرب ما بين مسام كفيه. يغلق باب غرفته بحرص خشية تحريك ذراعيه حركة أقوى من اللازم وسيتأملها. فقط يدقق في ملامح جوانبها بدلا من بقائه ساعات متطلعا لها من مسافة بعيدة.

يتذكرها يوم كانت جسدا مثله. تعدو في حديقة منزلها المقابل وشعرها المفرود ينسدل فوق ظهرها بخفة. قدماها الدقيقتان تدقان خطواتهما فوق الأعشاب المتناثرة. كانت تنظر مثله للشجرة التي تخترق الفناء. لا يدري أحد كيف نبتت هنا يوما ما. تحدثه كثيرا عن قصص سمعتها همسا بين أمها وأختها الكبرى. حكايات كانت

t.me/qurssan

كافية لجعل أمك تنهرك كلما سمعتك ترددها وتضربك كلما رأتك ما زلت تحادث تلك الفتاة رغم تحذيرها لك.

***

لا تكفي ملابس الثلاث نساء (الفتاة وأمها وأختها) السوداء لجعل هذا المنزل "منزل الشؤم والندامة" مثلما تتمتع أمك بالترديد طوال الوقت بالنسبة لك. لكنها نجحت في جعل والدك، أثناء عبوره من أمام المنزل، يتطير حتى من النظر نحوه.

ما يحدثونك عنه طوال الوقت لم يكن هو أبدا ما أثارك. أو انت الذي صرت طوال الوقت تشغلك التفاصيل البائدة مثل الأعين التي دوما تراقب الطريق من نافذة الدور العلوي، تلك الأعين الزرقاء المتلصصة رغم أن قاطني المنطقة بأسرها لا يملكون ذلك اللون.

***

تأتي (أم أحمـــد) هذا الصباح. خطواتها التي اعتدت ســـماعها داخل منزلكم كل يوم جمعة. تهرع من غرفتك نحو جسدها الضخم. كانت (أم أحمد) بالنسبة لك أفضل من أي مذياع يمكن أن تستمع له. لم تكن تدري من اخترع المذياع لكن من المؤكد أنه قد جلس معها من قبل ليحصل على هذه الفكرة. في ســـاعات معدودة تستمع لكل أحـــداث وزيجات القرية؛ من كبر ومن تخرج ومن عمل، بل حتى من على وشـــك الطلاق من وجهة نظرهـــا التي لم تخيب قط. هي

t.me/qurssan

دوما أعلم من كل من حولها وأكثرهم قدرة على فهم الأمور ودوما تعمل للمساعدة وليس للنقود قطعا.

أما عنها فحين تلمح العشرة جنيهات التي دستها أمك جيدا في يدها تبدأ في سرد قصص غريبة عن المنزل المقابل. كل القصص التي سمعتها من رفاقك تقصها بنكهة (أم أحمدية) مختلفة. لا ينقص الأمر سوى (الغول) حتى يصير الأمر أكثر قابلية للتصديق.

تتحدث عن تلك العائلة التي نزحت منذ سنوات قليلة ليقطنوا ذلك المنزل. وكيف أن لا أحد يراهم أو يقترب منهم. يتحدثون عن مصيبة ألمت بهم في ابن لهم بعد زفافه بساعات قليلة. لم يجد أحد الفتى تماما لكن شجرة ضخمة من وقتها بدأت تنبت في فناء حديقة منزلهم. رغم مرور عام على بداية ظهورها إلا أن عمرها يبدو كأنه من آلاف السنوات.

تسترق أمك النظر لوجهك كل فترة كأنما تشهدك على الحديث. كان قلبها ينقبض كلما ذكرت لها أخبارا عن الفتاة القاطنة أمامك.

تتركك (أم أحمد) وسط حيرتك ووسط بسملتها حين تفرغ من تلك الرواية المشؤومة. تتتبعها بعينيك من النافذة وهي تدلف ببطء للمنزل المقابل. لا تدري لماذا يساورك اليقين أن العشرة جنيهات تنغرس في يدها هناك أيضا لتقص عن ذي العيون الخمسة الذي يقطن عندكم.

***

t.me/qurssan

الساعة الخامسة. تعدو مسرعا هابطا الدرج. تغلق الباب جيدا من خلفك لتتأكد من أن لا أحد يراك. تسير في الممشى بحرص. ثوان وتختفي خلف الشجرة الضخمة التي تستوطن حديقة منزل الفتاة. تراك باسمة. ينفرج فمها عن تلك الابتسامة الصافية صفاء الكون نفسه. عيناها الزرقاوان يحتضناك. تخبرك أنها لا يمكنها البقاء معك طويلا خشية أن يراها أحدهم. تخبرها ضاحكا عن قصص (أم أحمد) عنهم. لا تجيب. تلتقط كفها لتلثمها بشفتيك. دقائق تمر قبل أن تضطر لتوديعها لتعود مجددا لمنزلها.

***

تتعدد لقاءاتكما منذ ذلك اليوم. تمكنك من التسلل لداخل غرفتها. تتأمل الجسد العاري للفتاة وقد نكست رأسها واضعة يديها لتخفي جزءها السفلي. الشعر الذي يغزو نتوءها وصدرها البارز كانوا كما لم يرها أحد من قبل. تحاول إبقاء صوتكما خافتا كي لا يشعرون. من المؤكد سيشعرون.

ماؤها ينهمر نهرا بلا ضفاف لا حاكم له. جسداكما المتلاحمان. أيديكما تتلمسان ثناياكما كي تتذكراها للأبد. عيناها المغلقتان باستسلام تام. انقباضاتكما معا.

كان يجب الرحيل مجددا قبل استيقاظ أحدهم. يخالجك شعورٌ أثناء الرحيل أن لون الشجرة قد اختلف وأنها تحدق فيك بشدة.

***

t.me/qurssan

صار يراها لفترات متباعدة ولحظات قليلة بعد هذا اليوم. صامتة دوما. كانت تزداد نحافة طوال الوقت، وحينما كانت تتحدث كانت لا تردد سوى كلمات غير مفهومة عن أخيها وعن الشجرة التي لا تتحرك من أمام نافذتها.

جسدها قد صار هزيلا. بدأت تزداد ضآلة كل فترة. مصيرها يتحول لنفس مصير أخيها بعد زفافه. أما لهذا الاختفاء من نهاية.

***

صارت قطرة فوق الفرع العالي لشجرة منزلها القديم. أخبرتها قبل أن تتحول نهائيا لتلك القطرة أنك ستلتقطها من أعلى ولن تتركها. ستمسك بها جيدا ما بين يديك وترحل بها بعيدا عن هنا.

تتذكر آلام ظهرك والأيام السبعة التي قضيتها في محاولة الصعود لأعلى الشجرة. نظرات والديك نحوك وأنت تخبرهما أنك بصدد التقاط حبات البلح التي تعلوها. فقط لتتذكر من ابتسامة والدتك ونظرات والدك الحانقة أن التي تتسلقها شجرة وليست نخلة.

سبعة أيام وقت غروب الشمس تقرر يداك أن تتجرح من الإمساك بالجذع السميك. تقرر قدماك أن يمتدا بطول الكون حتى يستطيعا الالتفاف حول تلك الأسطوانة الخشبية. يقرر ظهرك أن يتألم حين يرتطم جسدك من جراء سقوط يتكرر.

t.me/qurssan

سـبعة أيام تـدرك بعدها ما كان غائبا عنك طـوال تلك الأيام. تـدرك أن اللحظة التـي تنظر فيها إلى القطرة فـوق الفرع الذي يخترق السماء كانت هي أيضا تتأملك كثيرا.

***

تتمكـن في اليوم الثامن من التقاطها. تمسـك بهـا جيدا ما بين كفيك. تعدو مسـرعا نحو غرفتـك دون أن يراك أحدهم ودون أن تتسـرب من بين مسـامك. تغلق باب غرفتك بقدمك خشية تحريك ذراعيك حركة أقوى من اللازم.

تدرك أنك لن تسـتطيع وضعها فوق الملاءة أو أي سطح آخر كي لا تتبدد منك. لا سطح يتحملها سوى مسام جلدك التي لن تنفتح إلا كي تمنحها (قُبلة).

تفتح كفيك لتتأملهـا ناظرة إليك. ملامحهـا ورائحتها ما زالتا تطالعانك. تعانق ماءها بشـفتيك. تداعبك قليلا متناثرة ما بين فمك وكفيك. تستشـعر مذاقها داخلك قليلا ثم تضعها فوق كتفيك كي لا تفارقك.

t.me/qurssan

ضفيرتان معلقتان من خصاص نافذة

تلك الضوضاء اللعينة التي لا تتوقف في الشـــارع. تغلق جميع النوافـــذ عكس طبيعتها أملا في توقف الصـــداع بلا جدوى. تنظر من خلف الخصاص الخشـــبية بحذر. أولاد الجيران يلعبون الكرة دون توقـــف. تصطدم كرتهم الضخمة بحائـــط العمارة عدة مرات فيصيحون بحناجرهـــم المرتجفة ما بين الطفولـــة ورجولة نابتة. تعصب رأســـها بقطعة من القماش الأبيـــض وتفكر ما الذي يمكن حدوثه لو أثرت تلك الخبطات المتتالية على أســـاس العمارة نفسه. منذ يومين لاحظت بعض الشـــروخ في حائط المطبخ، حين أفضت بتلـــك الملاحظة لابنها الذي يقطن في الطابـــق الأخير من المبنى نفسه لم يبد اكتراثا حقيقيا، حاول إقناعها أن تلك الشروخ في طبقة الطلاء فقط. ماذا لو كانت في الأساس نفسه وستتكاتف مع ضربات

t.me/qurssan

الكرة المتتالية للتأثير على المبنى. تزيد من عقد عصابة رأسها لعل الصداع يتوقف.

تتوقف الضوضاء بالأسفل، ثوان ويدق جرس الباب. تنظر من خلف (العين السحرية) لتجد اثنين ممن كانوا يلعبون بالأسفل يدقون الباب مطالبين بكرتهم. تتحرك ببطء نحو الشرفة. تلتقط الكرة التي سقطت داخلها. تمسك بسكين ضخم وتقطعها لنصفين بصعوبة. تلقيها لهم وسط صراخهم الغاضب.

***

كانت تجلس دوما وقت العصر فوق الأريكة المجاورة للنافذة. تفتح الخصاص قليلا كي تتسرب الأشعة الشمسية نحوها، لحظات قليلة تقضيها صامتة أثناء ارتشاف الشاي معي. تتأمل صورتها المعلقة وسط حائط الغرفة. تخبرني كيف تقدم لها جدي بعدما رآها مرة تمر أمام دكانه في الشارع. كانت تسير وضفيرتاها الضخمتان تتهاديان حتى وسطها. "كانت مشية عسكري". لم تكن تتلفت يمينا أو يسارا. جسدها ثابت وضفيرتاها تتحركان مع هبوب النسمات نحوها توقا للخلاص. كان عجيبا في ذلك الوقت أن يتقدم لها أحدهم هي بعينها غافلا وجود أخت كبرى لم تتزوج بعد. أدى ذلك لقطيعة بين الأختين امتدت لأعوام، خاصة حينما صار حظ الأخت الكبرى قليلا من الدنيا بعد زيجة فاشلة. كانت أفضل فتاة بين أخواتها تجيد

t.me/qurssan

التصرف. أما الصبيان فكانوا إما في أشغالهم أو جالسين داخل المنزل ليخدمهم الجميع.

"كنت الأولى عالفصل بس مكملتش" تستكمل حديثها الذي أخبرتني إياه للمرة الألف، فأهز رأسي متفهمة. تنتقل فجأة للحديث مرة أخرى عن شعرها الكثيف الذي لم يكن هناك مثله وسط صديقاتها أو أخواتها والذي بالطبع لم ترثه أي منا. ثم ينخفض صوتها متهدجا قليلا وهي تتذكر ذلك الحادث الذي جعل رأسها يحدث به قطع صغير يتطلب خياطة. اختلف الحادث وأسبابه على مدار السنين ورواياتها المتعددة، لكن الثابت هو أنهم اضطروا لإغلاق الجرح ببعض الغرز فحلقوا جزءا من الشعر. "الشعر جِزِن من يومها" وتتوقف عن الحديث. أنظر نحو شعرها الأبيض القصير الخفيف الذي يشبه شعر أمي كثيرا محاولة تخيل الشعر باكيا.

***

كان ليوم الخميس طقوس مقدسة تبدأ صباحا بالاستيقاظ وتنظيف المنزل كله. كانت تشرف على تلك العملية بتفاصيلها كجنرال حرب وهي مهمة شاقة كنا نتولاها أنا وأختي. ثم بعد استحمامنا كنا نجلس أمامها، تغرق يديها بزيت الزيتون وتضعه على شعورنا الممشطة بعناية. كان يجب أن نرتدي ملابس منزلية بيضاء هذا اليوم دون سبب. ترتدي هي ملابسها السوداء محضرة بعض

t.me/qurssan

الفطائر التي احتفظت بها طوال الأسبوع خصيصا لهذا اليوم. كانت المرة الوحيدة طوال الاسبوع التي تطأ قدماها خارج المنزل. رحلة المقابر التي لم تتوقف عنها كل يوم خميس لمدة عشـرين عاما منذ مات جدي. تغادر المنزل مذكرة إياتـا بإبقاء النوافذ مفتوحة حتى المغرب فقط ثم إغلاقها مجددا.

حين كانت تعود كان وجهها يبدو دوما مهموما لتجلس في غرفتها صامتة. كنت أحاول كسـر صمتها أحيانـا فكانت تجيبني وعيناها ممتلئتـان بالدموع "كان راجل ما يتعوضـش، هم اللي موجودين دلوقتـي دول رجالة" ثم تصمت مهمـا حاولت إثارة الحديث معها مجددا. تحدثتـي عن النبتة التي وضعتها فـوق قبره وتصر على إروائهـا كلما ذهبت. عن العبير المتصاعد من التربة المبللة دوما. عـن روحه ونسـماتها الدافئة التي تحيط بها كلمـا ذهبت تزوره. ما أعرفه عـن جدي كان مرتبكا وغامضا. كانـت بمآثر الأولياء الصالحين. أشياء كان يرفض عقلي الصغير تصديقها.

كانت تعشـق الحديث عنه كثيرا بصـورة مفرطة. وكيف أنه (اتخطف من وسـطهم) في سـن مبكرة تاركا لها الحسرة الشديدة على وفاته، لكنها لم تنكسـر واسـتطاعت اسـتكمال تربية أبنائها الخمسة. تلك (الخطفة) التي أدركت من أمي بعدها سنوات أنه كان يبلغ السبعين وقت وفاته وكان مريضا قبلها لأكثر من عام. لم تكن

t.me/qurssan

تريني له ســوى صورة فرحهم وصورة له بشعر أسود. لا صور أخرى له. لدرجة أنه لم يأت قط في مخيلتي وهو يأكل، فقط مبتسم في صورة أبيض وأسود معلقة على الحائط.

- بعد زواجنا بثلاثة أعوام وجدني مهمومة وحزينة بشدة. لم يكن ليقبل أن يتركني هكذا أبدا. حين سألني أخبرته محرجة أني كنت أتمنى أن نلتقط صورة لزفافنا لكن لظروفنا وقتها لم نتمكن من فعل هذا. أخرج فستان زفافي وأخذني عند (المصوراتي) كي نلتقط تلك الصورة بملابس الزفاف. كانت بعد زواجنا بثلاثة أعوام.

***

حينما تمكنا من بناء تلك العمارة لم يكن الشارع بنفس الملامح. كان مليئا بالحدائق والأشــجار على الجانبين. لم تكن تلك المكعبات الخرسانية قد وجدت بعد. اقترح عليهم البعض بناء فيلا على قطعة الأرض تلك. لكنها أرادت بناء عمارة كي يصبح لهم جيران (عشان الونـــس). تخبرني أن مبنى القنصليـــة المواجه لنا كان في الأصل فيلا ضخمـــة لكن أصحابها هجروها حتى تـــم تأجيرها للقنصلية. كانوا قديما يجلسون في الشـــرفة وقت الظهيرة فتطالعهم الأشجار والعصافيـــر محلقة فوقهم. كان الأولاد يعشـــقون المذاكرة في مثل هذا الوقت وهي جالسة بجوارهم تقوم بتطريز شيء ما لتتأكد أنهم لن يمارســـوا أي حديث جانبي. أما الآن فلم نعد نسمع سوى نعيق

t.me/qurssan

الغربان منـــذ أن قطنها (بتوع القنصلية). "بس أنا بحب الغربان يا تيتة". تنظر نحوي غاضبة "فال وحش.. حياكل أكلك". تبدأ أصواتها في التعالي لتطربني كأنما شعرت بتهديدها لها. أفرد ذراعي وأدور داخل الغرفة على ترنيمتهما وسط نظراتها الغاضبة نحوي.

***

كانت طقوس التنظيف تُمارس يوميا بإتقان تام. ماعدا غرفتها. بقيت لها العالم الغامض الذي لا يمكن لأحدنا مشاركتها فيه. كان من الممنوعات أن يحاول أحد في المنزل فتح الدولاب. كان للغرفة تلك الرائحة التي هي مزيج من بخور لم أستنشقه قط في حياتي. تغلق باب الغرفة دوما طالما هي بالداخل. لا نراها سوى حينما تنتقل لغرفة الجلوس الخاصة بها. لتجلس أمام النافذة متأملة السائرين بالشارع ومتتبعة صيحات الباعة الجائلين. كانت تحزن بشدة حينما يتأخر أحدهم عن موعده وتقلق كثيرا إذا لم يأت أحدهم في أي يوم. رغم أني لم أرها يوما تشتري أي شيء منهم.

تتدفق الأشعة مضيئة أركان الغرفة كلها من حولها. حين تسمع آذان المغرب كانت تهرع للنافـــذة لغلقها. تبدأ ملامحها في الحزن قليلا. تســـتمع للمذياع أثناء ارتشـــاف الشـــاي حتى حلول ميقات النوم.

t.me/qurssan

كان يأتي لزيارتها الكثير من الأقارب. أحيانا يظلون لساعات دون حديث، فقط الاستماع معا لصوت البرامج المحددة أو الموسيقى المتهادية من المذياع القديم.

***

صارت الحركة أكثر ثقلا. لم تعد تتمكن من الوفاء بزيارة الخميس أسبوعيا. صارت تقبع معظم وقتها داخل غرفتها بجوار مذياعها القديم الذي فشلت كل محاولاتنا لاستبداله بالتليفزيون. تبقى داخل حيز غرفتها بالساعات مستمعة له. لا يعكر نهارها سوى صوت ارتطام الكرة مع حرصهم تلك المرة على عدم سقوطها داخل شرفتنا. يدها تمتد للهاتف الصامت بجوارها وتبدأ في الاتصال بمن تعرف. تنعي أياما مرت كان لا يتوقف عن الدق طوال اليوم حتى تضجر، وكان المنزل لا يتوقف عن استقبال الزائرين الذين يقضون يومهم كله فيه.

صرنا نتفادى أحيانا المرور أمام غرفتها كي لا تطلب منا أحد الطلبات أو تسترسل في إحدى قصصها. كان صوتها أحيانا يصل إلينا في غرفنا فنتظاهر بعدم السماع، ثم تقرر إحدانا الذهاب لتفقدها. إنارة ضوء أو إغلاق شيء ما. فقط من يلعبون الكرة بالشارع كانوا لا يتمكنون من الهروب منها. تنتقل ببطء لغرفة الجلوس ممددة على الأريكة المجاورة للنافذة المفتوحة وتظل تصرخ فيهم طول

t.me/qurssan

اليـــوم كي يتوقفوا عن ضوضائهم دون جـــدوى. أحيانا كانت تجد سيارة متوقفة فوق الرصيف أسفل نافذتها ولا تمت لقاطني العمارة بصلة. تتحامل على نفسها بعدما يئست من نداءاتها غير المسموعة لنا وتذهب لإحضار بقايا شاي أو أي طعام قديم لتلقيه فوق السيارة كيلا يفكر صاحبها في التوقف مجددا أمام العمارة لأن هذا يســـاعد في هدم الأساس.

***

صوت ســـعالها طوال الوقت هو ما صرنا نسمعه في تلك الأيام دون توقـــف. لم تعد حتى لديها القدرة على تبديل جلســـتها ما بين الغرفتين. كان الوقت مســـاءً حين وجدها والديَّ جالســـة أرضا بلا حراك. يقولون إنها قد نســـيت الحركة وصـــارت تقبع في الفراش طـــوال الوقت. لم تعد تتمكن من النظر مـــن نافذتها -التي صارت مغلقة طوال الوقت- مجددا. فقط ســـماع أصوات قادمة من الشارع والشـــكوى منها. نادتني ذلـــك اليوم وطلبت منـــي أن أحضر لها صندوقها الخاص من داخل خزانة ملابسها. صندوق خشبي مزين بكتابة نحاسية قديمة لم أره من قبل ولم تخبرني عنه. رائحة البخور المميزة التي تملأ أنفاســـي. تمتد يدها نحوه لتفتحه. تزداد الرائحة من حولي. عشرات الصور القديمة المهترئة لعشرات الوجوه التي أجهلها. تمتد يدها لقماشـــة خضراء اللون موضوعة بعناية في قعر

t.me/qurssan

الصندوق. تفتحها لأجد بداخلها ضفيرتين سميكتين قد تم قصهما منذ أعوام طويلة بعد الحادث القديم. تمد يديها المعروقتين بهما نحوي. التقطهما منها دون حديث.

أعاود الجلوس في غرفتي مجددا متأملة الضفيرتين. صيحات الأولاد في الشارع قد توقفت لأول مرة منذ ساعات. النافذة في غرفة جدتي تنفتح فجأة. نسمات من هواء ساخن تبدأ في الالتفاف حولي ومداعبة الشعيرات بين يدي.

t.me/qurssan

منزل آخر حبيب

تتعثر خطواته الدقيقة وسط الظلام رغم النجوم المتناثرة في السماء. يبدأ المنزل في التباعد مع كل خطوة يخطوها في الليل المقفر الذي يحيط به. احساس باليأس والهزيمة يملأه لكنه يستكمل المسيرة.

يتصاغر المنزل من خلفه كلما أوغل في الناحية الغربية للقرية. قدماه تمتلئان بالطين أكثر فأكثر حتى بدأ ينتابه الشعور أنه قد غطى جسده كله.

صوت زوجته الباكية وصراخها وهي تحثه على عدم الخروج. لكنه الصوت. دوما هو الصوت. أمضى أسبوعا كاملا مقيدا في الفراش، وحينما شعرت أخيرا أن الكرب قد مر وعيناه استعادتا بريقهما، قامت بفكه. لكنه الصوت مجددا.

t.me/qurssan

ثلاثة أيام أمضاها دون أن يداهمه النوم منذ ترك المنزل. عشرات الدروب التي وطأها بحثا عنها وسعيا خلف صوتها. صوت امرأته وصراخهـــا كل يوم ما يزال عالقا فـــي ذهنه أنه م.. ر. ب. و. ط. يعلم أن شفاءه مرتبط بهذا الصوت الحاني الذي يراوده كثيرا وأنها هي السبب في ربطه.

ســـماع اســـمه ترك ذكرى دافئة ألقيت داخل عقله حين تزامن ســـماعه للمرة الأولى وقت كانت زوجته تصرخ بحدة في وجهه. للاسم عذوبة لم يدرك أن أحرفه تحويها.

متعبا، يجلس أرضا أمام النار المشتعلة. جسده المرتجف من آثار الرياح والوحشـــة المحيطة به. ربما تمر ساعات من الصمت عليه قبل ســـماع الأحرف مجددا. يُرجع جسده للخلف. سيصير بأفضل صحة حين يرى صاحبة الصوت. يعلم هذا في داخله علم اليقين.

خيال يمـــرق أمامه ليحتك بغصن مـــازال يرتجف هو الآخر. ينتصب جسده دفعة واحدة. يردد المعوذتين ملوحا بعصاه الضخمة بين يديه.

شعرها الغجري قد سبق حفيف ثوبها الملتصق بالغصن. يتأمل جسدها المرتجف المنقاد نحو دفء النار التي أشعلها وهو يستطيل في المكان كله. كلماتها المبعثرة حينما رأته ملوحا بعصاه عن الطريق التي ليست بطريق، السيارة المعطلة، والصوت الذي يتردد

t.me/qurssan

في المكان حاملا اسما لا تعرفه فأفزعها حتى اخترق ما بداخلها.

تنخفض انتصابة جسده كثيرا. تجلس أمامه حول النيران. كوب شاي. يعرف ما سمعه عن هيئتها المتلونة التي تقابل بها الغريب؛ سيدة عجوزا أو رجلا أو طفلا أو حتى فتاة ذات شعر غجري. لكنه ليس بغريب. هو يملك كل ما يحتويه الليل وسيفك كل رباط. تتحدث كثيرا دون توقف. يداه لا تبغيان التفريط في عصاه الخشبية.

يرتجف كلاهما عند سماع النداء مجددا. نظراتها الحائرة المستنجدة به. إذا كانت ملاصقة له فمن صاحبة الصوت إذن. الأحرف المبهمة تتردد في الهواء كله. لا يدري لم شعر أنه يجب عليه الحفاظ على الشعر الغجري الذي اقترب منه حتى كاد يعانقه.

يُبقي العصا وسطهما. ربما داهمتهما من جانبها. ربما أخذته هو. فلتبقى إذن العصا معها لتنجو بحياتها وجسدها. ج..س..د..ه..ا.

ينزع معطفه القديم ليضعه فوق كتفيها. للرياح خِدر بدأ يسري في روحه. يحكي لها عن أيامه الثلاثة التي قضاها منتظرا النداء. تبتسم. يلحظ فمها المكتنز وسط الهواء العاصف بهما أو هكذا بدا له.

تنزع عُقد رقبتها شاكرة وتلفه حول معصمه. رائحة حباته تمتزج مع دخان النيران المتصاعد لتزيد من وحشته لبيته الحبيب ولذلك الجسد الملاصق له.

t.me/qurssan

الاسم يتردد مجددا، أو ربما كان هذا صوت حفيف الأشجار من حولنا. أذكر الخدر المنتشر في جسدي كله. أذكر جسدينا العاريين ممتزجين لا يغطيهما سوى حبات العُقد المتناثرة فوقنا. شعرها الذي يغمرني لا أبغي الإفلات منه.

المنزل يبدو بعيدا. تعلم أنها لن تعود إليه مجددا وسط أحرف اسمها التي مازالت تتردد للمرة الأخيرة في جوانب المكان.

t.me/qurssan

دون، كيخوتة، ...، وأشياء أخرى

يقفز محاولا الحفاظ على اتزانه.. ما بين القدمين اليمنى واليسرى سهل تمتلئ مياهه..

يعدو مبتعدا.. تندفع المياه لتغرق جسده كله.. ثوان ينظر حوله ليجدهم وقد جاءوه..

السيف ينبت أمامه.. تعلم أنك لست بـ(دون كيخوتة) ولن تكونه أبدا.. لن تقرر اليوم الخروج من الكتاب لتكون هنا..

تصعد.. تهبط.. تزداد رقصة حركاتك وسطهم.. ينظرون لك وكأنما أفعى يحتوونها..

يدك سوط تدفع به كل من حولك.. يتكالبون عليك رغبة في أخذ ما تخفيه عنهم..

t.me/qurssan

يمد أحدهم يده متسللا ممسكا برأسك.. سيفك لم يعد يصل لأبعد من مدى إصبعك.. يدير رأســك وسط يده.. لفة.. اثنتان.. ستسقط.. تحاول الا..

دفقة هواء تتخلل المسافة ما بين الرقبة والرأس.. تتسع الفجوة شيئا فشيئا..

خاتوك كلهم.. تُخرج الطاحونة من داخلك ضاربا الهواء بها..

ثوان يهمد المشهد.. (Pause) صغيرة قد تم الضغط عليه...

يترجل الجميع.. كل يعود لخلفيته مجددا..

تقفز محــاولا الحفاظ على اتزانــك.. ما بيــن القدمين اليمنى واليسرى سهل تمتلئ مياهه..

مجددا؟؟

رأسك مازالت بين أيديهم.. الرقبة فقط تتطلع للسماء.. يضعون الطاحونة مكانها لتهدر.

t.me/qurssan

t.me/qurssan

.

حكايات عنه كأنّ تنقصه الحكاية

t.me/qurssan

t.me/qurssan

8 على 10

تنظر للفراش الذي يتسع أمامها باتساع الكون كله.. تتأمله للحظات وهو قابع فوقه مبتسما. يمد يده ملتقطا إياها دافعا جسدها كله أسفل الغطاء. يداه اللتان تعملان بخفة لنزع ملابسها كلها. تعمل على التقاط الملابس بدلال لكنه يلقي بها بحركة سريعة لخارج الغرفة. تضحك. ذلك الدفء الذي تشعر به حين تتحد مساميهما دون توقف.

امتزاج عريهما فوق تلك البقعة. يبدأ بإمالة جسده رويدا وتقبيل كل ذرة تحويها. هذا السلام الذي ينتابها بثقل جسده فوقها.

(طفل صغير يلف من باب الغرفة إلى الداخل. يقف أمامهما لثوانٍ. ملامح جامدة فوق وجهه. يرفع الملاءة ناظرا أسفلها. ملامحه ماتزال جامدة، يغادر الغرفة سريعا)

t.me/qurssan

ترتجف. جسده مازال فوقها معطيا ظهره للباب. تحاول النهوض للتأكد مما رأته، لكن ثقله يدفعها للاستلقاء مجددا.

- رأيت الـ...

فمه يلقم شفتيها بحدة كي تتوقف عن الحديث. يداه تسريان في كل جزء منها. لا يبدو عليه سماع حديثها وسط حركته التكرارية.

ذهنها يبدأ في التباعد وسط آهاتها المتناغمة مع صوته. عضلاتها تبدأ في الانقباض شيئا فشيئا. توشك على الو.. ص.. و.. ل.

(يعاود الطفل الدخول جارا في يده شخصا أكبر منه سنا. تتشابه غريب ما بين الاثنين رغم وجود فارق لا يقل عن الخمسين عاما. فقط الشارب هو ما ينقص لإتمام الصورة المتشابهة. سيدة تبرز من الجانب الأيمن للغرفة. ذلك الباب المغلق دوما. صوت حذائها ذو الكعب العالي يقطع اللهاث الذي ينفثه هواء الغرفة)

جسدها قوس ينتصب. تدفع ثقله بعيدا عنها مولولة في حدة "من هؤلاااااااااء؟!".

يلتفت لأول مرة هابطا من فوقها. يتصلب رغما عنه. (**صمت**). الاثنان عاريان تماما إلا من تلك الملاءة. تزيد الفتاة التشبث بالملاءة لإخفاء كل تعرجات جسدها أسفلها. جسده المتصلب يأبى الحركة.

t.me/qurssan

(نظرات الرجل تتفحصهما من خلف عويناته القديمة. ربما لم يغيرها منذ زمن. السيدة وقد سئمت الوقوف تسترخي فوق كرسي بجوار الباب الأيمن وهي تلوك لبانة بسرعة دون توقف.

اخرى تهرع للدخول نحو الغرفة بملابس أقل أناقة منهما حاملة في يدها مغرفة كأنما كانت تستعد لطبخ شيء ما قبل أن تسمع صوت صراخ الفتاة).

ينظر طويلا نحو الرجل الذي يتفحصهما. جسد الفتاة يرتعش محاولة إخفاءه بداخله كي لا يراها أحد. حلقه صار جافا لا يجسر على النطق. سحابة ما تعكر ذهنه ليرفض أن يطيعه بالحديث.

(الرجل يحرك يديه في عصبية "استمرا أرجوكما.." ثم يلتفت نحو السيدة الجالسة "يخالني الشعور أنهما انزعجا قليلا، أليس كذلك حبيبتي"

تهز رأسها وهي مازالت تحرك اللبانة داخل فمها "بلى.. بلى").

يعتصر جسد الفتاة ما بين يديه ليطمئنها. أصابعه تنغرس كأنما لتنساب أسفل جلدها. تدفن رأسها داخل كتفه ويبدأ صوت نشيجها يجتاحه.

- "الملابس!"

t.me/qurssan

يفتش حوله. لا ثياب، لا شيء تماما، لا شيء سوى تلك الملاءة البالية التي صاروا يتشبثون بها بجنون. تشير له السيدة ذات المغرفة بهدوء نحو الخارج. الصالة. ينعى عقله الذي جعله ينزع كل الثياب في الصالة.

(يشعر الطفل بالسأم لطول فترة الصمت. يزجي وقته بالقفز ما بين الفراش وما بين السجادة المزدحمة بالنقوش. بين الحين والآخر يرفع الملاءة ناظرا أسفلها. ثم يعيدها مكانها مجددا).

يرفع رأسه محاولا ألا ينظر لها كيلا ينهار أيضا في البكاء. يخيل إليه أن السقف يحمل عينا متلصصة نحوهما باسمة.

(الرجل يتجول بحرص في الممر الصغير حول الفراش كأنما يخترق بعينيه أسفل الملاءة "لسنا هنا لنمرح.. لدي أوراق أود إنهاءها سريعا.." . يلتقط حقيبة بنية اللون مهترئة كانت ملقاة بجوار الدولاب دون أن تلفت نظر أحدهم. يخرج منها بعض الأوراق، العديد منها، مقسمة بالتواريخ بعناية. يمسك إحداها ويلتقط قلما متحدثا بصوت مرتفع

"أعطي هذا الأداء ثمانية من عشرة. نعم أقولها ثمانية من عشرة.. الفتى جيد.. جسده.. حركاته.. سعادتها أسفله.. حتى ملامح وجهه.." . ثم ينظر للسيدتين "أعني جيد" . غامزا بعينه اليمنى "ثمانية.. هذا هو" . يدون بعض الخطوط في دفتره ثم يغلق الأوراق متنهدا).

t.me/qurssan

شعرها الثائر- وقد ابتلّ من كثرة البكاء وعرق الرعب - يملأ عينيه ووجهها مازال مختبئا داخله.

(تهمهم السيدة الجالسة "بلى... بلى... ليس سيئا... ليس كما قلت تماما.. لكن ليس سيئا.. يمكنك أن تقول...." ناظرة لأعلى باستنارة "جيد!!.. هذا هو الوصف.. جيد!!.. حقا.. لكن ثمانية من عشرة.. Come on.. لا أنكر الترجمة تحديدا.. تعرف ما أعني.. كثير هذا.. كثير").

يفكر كثيرا في الإمساك بيد الفتاة بحدة والنهوض لكنه يعدل من الأمر. شيء ما أسفل الملاءة ينتصب رغما عنه.

(يعدو الطفل مغنيا في الغرفة "مش لايقين مش لايقين.. مش لايقين مش لايقين"

تدق السيدة ذات المغرفة بيدها على باب الغرفة صائحة "ثمانية من عشرة.. أرفض تلك الثمانية.. أعني.. لا أرى أي انسياب في الحركات منه.. لا قوة مفرطة.. لا عنف حتى.. يتعامل بحميمية.. لا تجديد.. لا شيء.. فقط (يفعل) إذا أردت القول.. والفتاة.. هل تأملتم الفتاة حقا.. جسد رفيع وصدر ممتلئ.. خمسة.. هذا رأيي.. خمسة.. لا أكثر من هذا").

ترتجف حين تسمع تلك الكلمات الأخيرة. يتحول نشيجها لبكاء

t.me/qurssan

مسموع كأنما يحتاج الأمر لشيء يضاف إلى ارتعاش جسده كله.

"أ.. أ.." يهم بقول شيء ما لكنه يعدل عن رأيه في اللحظة الأخيرة. جسدها الرفيع الذي مازال ممسكا به بين يديه. الرفيع؟؟!! كيف لم يلاحظ هذا قبلا. كيف لم يلاحظ امتلاء صدرها الفج حين يلامس وجهه.

(غاضبا يصرخ الرجل في السيدتين "إذن لم تقتنعا برأيي.. الثمانية لا ترضيكما.. وكل تلك الأوراق التي سودتها لأعوام.. لا.. رأيي.. لا.. لا.. حتى الطفل الصغير.. لا.. حسنا.." ناظرا نحو الفراش "لم تسعفاني.. أنتما لم تسعفاني.. اتعلما.. غيرا الحركة.. غيرا الوضع بدلا من تصلبكما هكذا.. افهما.. كل أوراقي ستذهب هباء.. عامان على المعاش.. أهباء هذا؟؟.. غيرا الحركة.. ربما ظهرت وقتها الثمانية أمام أعينهما"!)

الاثنان ينظران غير مصدقين. لا تدري متى أو كيف بدأ في التخلي عن تصلبه والاقتراب بشيئه منها قليلا حتى زرعه داخلها. الغطاء يسترهما لكن الأعين المحيطة تخترق كل شيء لها. شهقاتها تفر منها.

رنين هاتف يقطع الهواء من حولهما. الهاتف.. هاتفه بالخارج.. الثياب.. الصالة..

t.me/qurssan

تعاود الفتاة البكاء وهي تتأوه تلك المرة.

(تتنهد السيدة ذات اللبانة بضجر "سينهض.. ارايتم.. اغلب الظن سيرحل"..

ترد الأخرى "لن ينهض.. ليس الآن.. بالداخل هو").

جسد الفتاة مازال يحتضنه ضامة قدميها جيدا. جرس الهاتف يدمر أعصابه. يجب التقاطه بأي شكل.

ينسل خارجا منها بهدوء شديد. يزيح رأس الفتاة من على كتفه كأنما يخشى إيقاظها. ناهضا من فوق الفراش ببطء. النظرات المحدقة بعريه.

كأنما يرقص بخفة يسير وسطهما. يتوقف قليلا أمام مدخل الغرفة متحاشيا النظر في وجه السيدة ذات المغرفة التي تتأمل شينه مبتسمة. الفتاة يزداد ارتجافها أسفل الغطاء وحيدة. صوت الطفل من خلفه يبدأ في التلاشي. "مش لايقين مش لايقين".

يلتقط الهاتف رادا باقتضاب "نعم.. حسنا.. لا لا.. لا شيء.. سأتي حالا"

يخرج من المنزل بسرعة عاريا، تاركا ثيابه كلها لا تزال بالداخل.

t.me/qurssan

إخلاء

"ستصل على الدوام إلى هذه المدينة
لا تأمل في بقاع اخرى
ما من سفين من أجلك
وما من سبيل".

المدينة - قسطنطين كفافيس

تقف بجوار المبنى القديم الذي يحتل ناصية الشارع. يمتد نظرها مجددا لبداية الطريق. اللافتة الخشبية التي تحوي الرقم (ثلاثة) تحتل أعلى المبنى. يلتصق جسدها المرتعش بالحائط في سكون. القطرات التي مازالت تتساقط فوق شعرها الثائر تزيد من التصاقها بالجدار غير عابئة بتحول الأتربة بفعل الأمطار إلى مزيج من الطين المتعلق بمعطفها الرمادي. صوت مشاجرة وطلقات نارية يفد نحوها مع الهواء الذي يغلفها. تمتد يداها المرتجفتان لتغلق الزر

t.me/qurssan

العلوي للمعطف مختفية داخله. مازال الصوت بعيدا عنها ومازال هذا الشارع خاليا كما هو. شـــعرها يبدأ في الابتلال ملتصقا حول وجهها بخنوع. ترفع رأســـها برفق للنظر نحو اللافتة مجددا. أهو رقـــم 3 أم رقم 2؟.. دون أن تدري ترفـــع ذراعيها قليلا كي تزيح بعض الأتربة من فوق القطعة الخشبية للتأكد من الرقم.

(ثلاث قبلات. يهمس في أذنها بالرقم فتند عنها ضحكة مكتومة. يلتقط شـــفتيها ليمتص رحيقهما. تغوص بجسدها أكثر داخل جسده العـــاري الملاصق لها. شـــعاع متناهي الصغر يتســـاقط من فتحة ضئيلة في النافذة الخشـــبية منعكســـا فوقه ليصير كرة من النيران تراوغها كلما حاولت التقاطها بين يديها الدقيقتين).

تراه قادما من بداية الشارع الخالي تماما. خطواته المتسارعة وجسده الذي تزداد استطالته كلما اقترب. تُضيق عيناها لتتأكد من ملامحه أسفل الضوء الخافت القادم من عمود النور الموجود بأول الشارع. دقات قلبها المتسارعة تدفعها للنظر نحو الناصية الأخرى كيلا يشعر بها أحد. صوت الخطوات يقترب أكثر فأكثر. تنكمش مجددا داخل معطفها لتزيد التصاقها في الحائط متمنية أن يبتلعها.

t.me/qurssan

كيانـــه يهب في محيطهـــا دون أن ينظر نحوهـــا دالفا من باب العمارة المجاورة. تقف دون حراك. يصعد السلالم سريعا دون أن يلتفت للخلف. صوت الطلقات صار يُســـمع بشكل أكثر قربا. ربما صار يفصلها عن الصوت ثـــارعان فقط. تحـــاول الانتظار قليلا ثم ســـرعان ما تتســـرب ببطء نحو الباب الحديدي المفتوح ليبتلعها داخله.

(جسده أمامها منتصب كإله من آلهة الإغريق. تتأمله سائرا أمامها داخل الغرفة بجسده العاري. يشعر بالاشتياق يزداد داخلها. يقترب من جسدها بعمق حتى تلتصق رائحته بها. ترتاهما اللذان تتماهيان معا. يقترب برأسه منها لتتناغم أنفاسهما).

ممسكة بالدرابزين العتيق تنظر لأعلى. خطواته تعلوها بنحو الطابقين. تصعد ببطء لاهثة من ألم أنفاسها. الضوء الخافت الذي كان يتسرب من باب العمارة يأخذ في الابتعاد شيئا فشيئا أثناء الصعود. تسمع خطواته السريعة كأنما يعرف طريقه جيدا وسط الظلام الممتد. تُسرع من خطواتها قليلا لعلها تتمكن من اللحاق به. تمر أمام المزيد من الأبواب الخشبية المصمتة. حيوات أخرى تمتد بالداخل. تزيد من صعودها السلالم مع تسارع خطواته. صرير باب خشبي يفتح وينغلق ببطء فوقها بطابق أو اثنين.

t.me/qurssan

(يكتم صوتها تماما عند سماعه حركة قادمة من الشقة التي تعلوهما. وسط الصمت الذي يسود تشعر بالمدينة مازالت نائمة بثقلها بجوارهما. يبتسم متخيلا أن الرجل الذي يسير بعكازه في الشقة فوقهما لا يعرف ما يحدث أسفل كرسيه الآن. تطربه الفكرة فينهض من فوق جسدها ببطء مستلقيا جوارها).

تتوقف قليلا مستندة على الحائط لا تقوى على الصعود. أكان الصوت في الطابق فوقها أم الذي يعلوه. لا شيء يميز المكان حولها الآن وسط الظلام سوى يدها المطبقة فوق الدرابزين وقطرات المياه التي تتجول داخل جسدها أكثر فأكثر من بقايا المطر بالخارج. تتوقف أمام الباب الخشبي. أهذا هو الباب الذي انغلق أم الذي يعلوه. تنظر نحو جرس الباب ببطء. تحاول تخيل ما قد يحدث لو انفتح الباب عن رجل مسن ينظر لها مستنكرا أو سيدة تتشكك في هيئتها ونظراتها المرتعبة. تصيبها الفكرة بالمزيد من الرعشة. تمد يدها الدقيقة نحو الباب الخشبي طارقة دقات خافتة كي لا يسمعها أحدهم. ثوان وينفتح الباب أمامها.

(تجاوره صامتة ليستمعا معا إلى بقايا الأصوات بالخارج القادمة من الشارع. لا صوت داخل المكان سوى صوت أنفاسهما. تلتقط

t.me/qurssan

سيجارته داخل فمها برقة. "ما عدش فيه مكان هناك، ايه رأيك لو أنا جيت هنا؟". لا يرد نافثا المزيد من الدخان بعصبية. تخفي رأسها داخل كتفه دون محاولة النظر داخل عينيه. صوته الخافت يقترب من أذنيها "ماتخافيش مش حسيبك").

تدلف للداخل دافعة الباب لينغلق خلفها. دقات قلبها التي لا تتوقف. ينزع عنها المعطف متأملا جسدها الذي استباحته الأمطار قبلا. يلقيه بعيدا ممسكا بيديها ما بين راحتيه لمزيد من الدفء. جسدها لا يتوقف عن الارتعاش. صوت الطلقات يعاود الانطلاق. يحتضنها ما بين ذراعيه لتهدأ قليلا. تبدأ أنفاسها في الانتظام تدريجيا مع خفوت الصوت بالخارج.

جسده يغادرها قليلا. تسير ببطء داخل الغرفة متأملة الصور المعلقة فوق الحائط. المزيد من الحيوات المتناثرة. الإطار التقليدي الذي ينتصف الحائط. تقترب منه. صورته يعلو وجهه ضحكة بلاستيكية ما. تلتفت للخلف لتجده يقلب نظره ما بينها وما بين الإطار حائرا. ينظر نحوها لتعاوده ابتسامته الحية. تلتقط منه كوب (النسكافيه) الساخن ليملأ البرودة التي تزحف بين كفيها.

- بكلمك بقالي كتير على فكرة.. الخطوط وحشة قوي النهاردة.

t.me/qurssan

تتراجع حتى تصل بجسدها نحو الأريكة متمددة فوقها. يدها تمسك بخصلات شعرها المبللة لتفرغها من المياه معيدة إياها ثورتها السابقة.

- ما فيش حد طول الطريق، الشارع فاضي خالص. المكان هناك مابقاش موجود.. حا ينفع أقعد هنا كتير؟

- مش عارف.

(شفتاه اللتان تمرران قبلاته فوق كل ذرات جسدها. "نسيب المكان هنا ايه رايك". "يا ريت كان ينفع" يستكمل صامتا تقبيل جسدها كله ورسم حدود مدينتهما الجديدة).

يجاورها جالسا فوق الأريكة ملتصقا بها. نظراته الحائرة نحوها. يلتقط بضع أوراق من فوق المنضدة ليناولها إياها. تحاول قراءتهم مريحة رأسها فوق كتفه.

- الدنيا ضلمة قوي هنا.

- معلهش.

شعرها الممتلئ بعطر جسدها يقتحمه بهدوء. يحيطها بذراعيه أكثر فأكثر وهي ما زالت تمرر عينيها فوق الأوراق غاضبة.

t.me/qurssan

- كان مفروض نكتب الكلام ده مع بعض.

- معلهش.

صـــوت طلقات ما يعصـــف بالهدوء المحيـــط. تترك الأوراق بجوارها محاولـــة النهوض لمعرفة ما يحدث بالخارج. يوقفها بيده مبعدا إياها عن النظر من خلف النافذة الخشبية المغلقة.

(لقـــات الهاتف تختـــرق المكان حولهما. ينهـــض عنها ملتقطا الهاتف ليتحدث هامســـا. ثوان معدودة ويغلقه ناظرا نحوها. لازم تمشي دلوقتي. باســـتياء تنهض من فوق الأريكة لترتدي ملابسها ببطء. "حا تسيبني أمشي؟؟". يعاود تقبيلها مجددا معتصرا جسدها بين ذراعيه ثم يرتدي ملابســـه على عجل. "حا تسيبني أمشي؟؟". يبتلع رائحة معطفها داخله قبل أن ترتديه. "اسبقيني ثواني وحاجي وراكـــي". "بس ما عدش فيه مكان هنـــاك". "حانزل وراكي على طول").

مـــن خلف النافذة المغلقة يراقب خطواتها التي تبتعد عند ناصية الشارع الخالي. عيناها تتعلقان بالنافذة عالمة أنه مازال ينظر منها نحوها. تطبق يديها أكثر على الأوراق التي معها بعصبية. أصوات

t.me/qurssan

مكتومة تبدأ في الوفود نحوه من الشارع المجاور. يلتقط الهاتف في يده بفزع ويُسرع من خطواته فوق السلالم. صرير الباب الحديدي يتسع وهو يعبره للخارج. صوت النيران صار قريبا. العشرات يعدون وسط الطريق. يتفادى الاصطدام برجل كبير يلوح بسكين في يده. يُسرع من خطواته نحو أول الشارع سائرا بمحاذاة الحائط للهرب من الأجساد التي تعدو مصطدمة به. الدخان الخانق يكتم أنفاسه. تتوقف رؤيته فلا يرى بعد أمتار قليلة منه. الجميع يسيرون عكس اتجاهه فزعين. سيدة تجر حقيبتها الثقيلة وطفليها يعدوان بجوارها. يفكر لثوانٍ في مساعدتها قبل أن يصطدم أحد الرجال بها ملتقطا أحد طفليها ليعدو به وسط صرخاتها الممتزجة بصوت الطلقات.

يصل لأول الشارع. لا طريق. الدخان يحلق في المكان كله. يحاول التحرك حتى يصل نحو الناصية المقابلة. يتوقف الشارع، لم يعد هناك مكان أمامه. المزيد من الدخان يغمر أنفاسه. صوت الطلقات يزداد اقترابه حتى صار يشعر بها مارة من فوق رأسه. يصرخ باسمها وسط الطلقات دون رد. يفتش ما بين يديه عن رائحة جسدها. يشعر بنفسه مازال داخلها. يراها وسط المباني المهدمة التي يغلفها الدخان على بعد أميال، حيث لم يعد هناك طريق، ترتقي الأوراق إلى أعلى، وهي مازالت منكمشة داخل معطفها بصوت خطواتها الدقيقة فوق الرماد.

t.me/qurssan

تحول

5

- تشرب شاي؟

يدير وجهه للناحية الأخرى كأنه لم يسمع سؤالها.. منهمكا في تقليب القنوات، يتظاهر بعدم سماع صوت خطوات زوجته المتجهة للحمام بدلا من المطبخ مثلما قالت.

يزداد انهماكه في التلفاز.. أو دور (سودوكو) في جريدة الأهرام القديمة، فقط كي يتوارى ذهنه بعيدا عن صوت شهقاتها أسفل مياه (الدش) المرتطمة بجسدها الساخن الذي فشل في إطفاء لهيبه أمس.

(الفوطة) الملتفة حول جسدها الذي يخجل من رؤيته عاريا حتى الآن. تمر أمامه دون نسيان أن ترمقه بنظرة جانبية لائمة.

t.me/qurssan

يكتشف اليوم كيف أن هذا المسلسل التركي الممل قد صار فجأة ممتعا للغاية.

***

6

تستيقظ من النوم لتجده قد نبت بين رجليها. جسدها ينتفض بارتعاشاته فوق الفراش ذاهلة. طرقات أمها الحادة على الباب تدفعها دفعا لإخفاء نفسها كاملة أسفل الغطاء. "ميعاد الكلية حا تتأخري". يداها فوق فمها بدافع الخوف من أن تخرج منها صرخة تفضح الأمر كله. تبقى عيناها معلقتان ما بين جسدها الجديد أسفل الغطاء وما بين الباب المغلق.

***

5

طوال الليل، يظل مستمعا للموسيقى القادمة نحوه من النافذة. يعشق تسلل خياله للشقة رقم 6 التي تعلو مسكنهما. الفتاة التي تقطن فيها تحتل تفكيره. لقفزاتها على الأرض فوقه سحرها.

يمكث بالساعات متخيلا قدميها النحيلتين وهما تدقان فوق

t.me/qurssan

السـجادة ذات النقوش، أو "السـادة". لكن الدقات المكتومة تخبره دوما أنها تقفز فوق سجادة سميكة.

ربما يعلو رأسـه فراشـها. لا يحب تخيل الأمر سـوى هكذا. جسـدها المنسـاب فوقه بهدوء دون أن تدري أن عينيه تخترقان السقف ناظرة لأدق خلاياها.

الساعة السابعة صباحا. الموعد المقدس لعمله هو وزوجته ولكلية الفتاة جارتهما بالطبع. يظل مقرفصا فوق الفراش دون حراك وسط نظرات زوجته المندهشة نحوه. لا يتحرك ولا يفكر حتى في بدء تجهيز ملابسه للنزول.. كاتما أنفاسه، يتخيل يديها تنزعان ملابسها ببطء. يعدها متخيلا أناملها تزيح قطع الملابس بتتابع مثير. واحد، اثنان، يتنهد بحرقة حين يصل لرقم أربعة. دوما يتخيله أربعة. لونه أسود مثلما أراد. ينطق (أربعة) وهو يتخيل يديها الدقيقتين تطوحان به بعيدا لترتدي آخر أسود اللون أيضا. يغلق عينيه قليلا قبل أن يقرر الدخول للحمام لاستكمال ما بدأه هناك.

***

6

صـارت لا تتحرك كثيـرا مثلما كانت تفعل من قبل. تسـتمتع لأقصى الحدود بالبقاء داخل غرفتها ومراقبة جسـدها الجديد أمام المرآة.

t.me/qurssan

يثيرهـــا الأمر كثيرا. تســـعد أنها قد قامت أمـــس بكي تنورتها السوداء المحببة لقلبها. ســـيمكنه هذا من الارتخاء براحته والتمتع بالحركة دون قيود.

رائحته التي ســـتتناثر مع دفقات الهواء حتى تخترق مســـام كل ما حولها. تطربها الفكرة حين تتخيل نفســـها سائرة به وسط الناس دون أن يدري أحد فتعاود إرخاء جسدها مجددا.

***

5

دموع الزوجة المنهمرة فوق وجهها الملطخ بالمساحيق صار يذكره بإحدى الفقرات التي شاهدها في سيرك روسي حينما كان صغيرا. لا يشعر بقدرته على التنفس إلا حين تبتعد بجسدها الرخو عنه يائسة.

يجول برأســـه وسط نحيبها في صوت الدقات القادمة من الدور العلوي. ذلك الجســـد الثائر المتماســـك. نظرات الفتاة الحادة حين لمحهـــا يوما ما من قبل. يبدأ في الاشـــتعال من داخله وهو يتخيلها نائمة في فراشها الآن.

تنظـــر لقضيبه المرتخـــي دون أي أمل فـــي النهوض. تحاول إيقافـــه دون جدوى. يتألم حين يستشـــعر قبضة يدها وهي مازالت تعتصره.

t.me/qurssan

تبدأ في جذبه لإدخاله هائجة غير عابئة بألمه الشديد. ثوان ويبدأ الجسد الأسطواني في الالتفاف كالأفرع حول يدها ببطء. يتفرع حتى يملأ يدها وذراعها دون توقف. تجفل فتلقيه برعب. يستكمل هو سيجارته دون النظر نحوها.

***

5

تنظر له زوجته غاضبة. تلك المرة لا شوق، لا بكاء، لا أنفاس ساخنة، لا انتظار، لا لوم. فقط تنظر له بغضب.

يظل جالسا فوق المقعد دون حراك. يشعر بها وقد انتزعت قضيبه واضعة إياه داخل ورقة جريدة لتلقيه من النافذة.

لا يقوى على الحراك ولا حتى النطق. لا يتمكن من منعها مكتفيا بتأمل ورقة الجريدة حاملة شيئه وهي تهبط لمستقرها. نظراته الذاهلة لها وهي تجمع حاجياتها داخل الحقيبة مغادرة المنزل. يبدأ الشعور بأن شيئا ما صار ينقصه في التزايد داخله.

***

t.me/qurssan

6

كانت قبل يومين تسير في شارع منزلها المظلم عائدة من الدرس. بضع خطوات تنقصها قبل أن تدلف إلى باب العمارة المغلق. صوت شيء ما يسقط من علٍ هو ما أيقظ كل أعصابها بغتة. نافذة الشقة الخامسة تنغلق بعنف. لا تتذكر أنها رأت سكان الدور الخامس قبلا، فقط صوت شجارهم هو ما يتهادى لمسامعها كل يوم خاصة في المساء.

اليوم لا شجار. فقط هذا الشيء يلقونه لتعاود النافذة الانغلاق. تتلفت حولها مقتربة ببطء من الرصيف المعتم. شيء ما ملقى على الأرض داخل ورقة الجريدة تلك يتحرك محاولا التملص كأن ما تزال به حياة.

تمد يدها وسط الأتربة والأكياس المتسخة التي تعلو الرصيف فتراه أمامها.. طويلا واسطوانيا كما زارها دوما في أحلامها الماجنة.

تعاود التلفت حولها عدة مرات لتتأكد أن لا أحد يراها. لا نافذة مفتوحة. لا أعين متلصصة. تفتح حقيبتها سريعا لتلتقطه وتضعه داخلها. صوت لهاثها فقط هو الذي مازال يغمر المكان.

***

t.me/qurssan

0

تضغط أصابعه على رقم خمسة في لوحة الأزرار المعدنية للمصعد. ينظر لجسدها في الحيز الضيق بجواره وإلى رقم ستة المضيء في اللوحة. القدمان الدقيقتان اللتان طالما حلم بهما. تنورتها السوداء التي انتزعتها آلاف المرات في أحلامه. وجهها الحبيب كما لم يتخيله من قبل.

تقترب قليلا منه بنظراتها الحادة. لا يدري لماذا صار يشعر تلك الأيام بالحرارة المنبعثة من جسده. عيناه الخجولتان لا تجسران على النظر في وجهها بدقة فتتجولان بحياء في أرجاء المصعد.

تنظر له مبتسمة ولوجهه المحمر وهي تلوك لبانة باستهتار. تتحرك تنورتها قليلا مرتفعة لتند ضحكة عالية منها.

ثوان تمر وسط صمتهما. تدقق في ملامحه بعناية. جسده البض. نظراته المتوارية. تمد يدها ببطء نحو الزر الأحمر لإيقاف المصعد وسط نظراته الخائفة.

لا يشعر سوى بيدها وهي تنتهك أرجاء جسده. فمها مازال منطبقا على شفتيه وهي تعلوه. صرخاته تتحول لشهقات مكتومة لا تتوقف وهي تطفئ نيرانه، تولج قضيبها داخل النتوء الذي صار موجودا لديه.

t.me/qurssan

واجب

ملابسها السوداء التي لم تنزعها منذ ثلاثة أيام. الوجوه المتشابهة التي لا تتوقف عن التمتمة ببعض كلمات متناثرة في أذنيها. كلمات لا تقال ولا هي تسمعها، فقط تعرف داخلها ما هي.

توقفت منذ اليوم الثاني عن إحصاء المعزين. اللون الأسود الذي صار يغلف المكان كله.

همســـات تتكاثر من حولها. تظل محتفظة بوجهها الثابت دون ملامح. "مفيش قرآن حتى يشـــغلوه؟؟". نظراتها نحو ابنها المستند بظهـــره على الحائط. "بيقولوا طفش مـــن عمايلها". صورة والده المعلقة هي فقط ما اســـتطاعت الاحتفاظ به من مقتنياته طوال تلك السنوات. "جوزي شـــاقه من يومين في بورسعيد عمل مش شايفه وقام لف وشـــه". نفـــس الملامح التي فتنتها فـــي والده طوال تلك

t.me/qurssan

السـنوات صارت لها فيه. يشعر بأمه ترمقه بنظراتها فيبتعد بعينيه عنهـا. أكف الوافدين التي تتعمـد الضغط على يدها قليلا بنظرات ذات معنى. تنظر لعينيّ ابنها المعلقة نحوها بحنق.

***

للمرة الأولى يدرك كم الأشياء التي صارت ملقاة على عاتقه. يدرك من القائمة الطويلة التي يجب شرائها أن يوم الجمعة لن يصير مثل غيره من الأيام وأنه لسبب مجهول هو اليوم الذي تقرر فيه جميع السيدات أن المطبخ قد صار خاليا فجاة وأن أمامه المزيد من الأشياء كي يفعلها.

قرر إغلاق هاتفه مؤخرا ليهرب من كم المكالمات التي صارت تطالبه بالخروج للسينما أو لعب الطاولة في مقهاه المفضل. يعيد محاولة تنكر قائمة المشتريات كلها.

ينظر لجسدها المستلقي داخل غرفتها. لرائحتها مزيج من بقايا عطر قد انزوى. شعرها المرتخي فوق الوسادة. يرتدي الجاكيت سريعا قبل أن يغادر المنزل. يبتسم حين يجد تلك الشعرة ماتزال عالقة بملابسه.

***

تنفـض الجموع عن المكان كله بعد أيـام العزاء. المنزل خال

t.me/qurssan

إلا منهمـــا. لن يســـتيقظ مبكرا كي يأخذ نقود كليتـــه منه. لن يعنفه حين يجد نتيجة الترم لم تتعد المقبول. لن يراه صباحا جالســـا فوق الطاولة محتسيا قهوته التي لا يغادر دونها. تحتضنه بعنف لتودعه داخلها. "ما عدش ليا غيرك". رائحتها التي تغمره والمســـئوليات المتكاثـــرة فوقه. تلك الرائحة الحبيبة التي تجعله يود الدخول داخل رحمها مجددا. كلماتها له حين نهرها لأنها تســـير حاســـرة الرأس وسط الشارع. "اعمل الواجب". رأسه يميل على صدرها. همسات أصدقائه عن جمالهـــا الباند. "اعمل الواجـــب" يغمض عينيه و.. يسترخي.

***

"أنا حاتجوز" تصدمه الفكرة. أن يتنفس أحد داخل تلك الجدران بدلا من أبيه. يخترقهـــا بعينيه. تحاول تفادي نظراته قدر الإمكان. فستانها الأسود العاري حتى منتصف ظهرها. لا يدري دوما بنفسه حين تبدأ الكلمات في التناثر من فمه بســـببها فلا يدرك شـــيئا عما قالـــه بعدها. تقترب منه بوجهها الممتلئ بالدموع المنصهرة باللون الأســـود. كم رأى ذلك الوجه الباكي كثيـــرا. لكم يزداد جماله حين تبدأ المساحيق في الانصهار. يعرف الآن لم كان والده يعشق سماع صـــوت صراخها طوال الوقت. من المؤكد أنه كان يتفنن في إيلام ذلك الجســـد الذي لم يفقـــد رونقه بعد. يلقي برأســـه فوق ذراعها.

t.me/qurssan

"اعمل الواجب" صوتها يتهادى نحوه. أنفاسها التي تقترب منه. صوتها الخافت داخل رأسه يدور دون توقف. كلمات كثيرة عن وحدتها وأنه سيتزوج يوما و...

يدق الباب بعنف. "حا تفتحي كده؟؟". "ما هو إسود أهو عشان المرحوم!!".

***

الهاتف الذي تتحدث فيه طوال الليل. يظل قابعا داخل غرفته دون حراك. الكلمات الدافئة التي تتناثر نحوه. لم يرها قط لكنه بدأ يشعر بكيانها يستطيل داخل الجدران حتى يخنقه. الأسماء التي تتغير للأشخاص دون تغير في نبرة صوت اشتياقها. العشرات ممن صار قادرا على حفظ حركاتهم من صوتها كل ليلة الذي يخترق الهواء الذي يغلفه. ينظر للصورة باكيا. يستمع لصوتها خلف الجدار الفاصل بين غرفتيهما وهي تضاجع الهاتف دون توقف. حركته التي لا تتوقف داخل حجرته. صراخ شهقات رجولته المكتومة يتزامن مع صوت إغلاقها للهاتف. ينصهر الحائط الفاصل بين الغرفتين من دفء الهواء المحيط.

***

كان الأمر أسهل مما ظنه. لم يحتج لأكثر من ربع ساعة حتى

t.me/qurssan

يسمع صوت شهقاتها أسفله وعدة مرات أسبوعيا لتنقطع مكالمات الهاتف تماما. نعم يحتاج الأمر أحيانا لتلك القائمة الطويلة من الأشياء التي يجب شراءها واللف لساعات على المتاجر لكنه كان يمضي وقتا أكثر من ذلك في البحث عن الجرائد والمجلات التي يشتريها.

تسمع صوت الباب المنغلق. كوب القهوة الموضوع فوق الطاولة بانتظاره. صوتها بالداخل يناديه بدلال، ورائحة عطر قد أطفأت لهيبه بالأمس ما تزال تملأ المنزل. يخرج صورة أبيه من جيبه ليقبلها قبل أن يعيدها مجددا بحرص.

t.me/qurssan

إيليت

يحدثني عنهـا حين نتجاور على الأريكة داخـل مقهى إيليت. يخرج صورتها مـن داخل محفظته ويريني إياها. يلحظ ضيقي وشـرودي بعيدا عنه وعن الصورة فيخبرني أنه يعشـق ملامحي السـمراء المليحة. ابتسامة باهتة ترتسم فوق شفتيّ. يستكمل حديثه الدافـئ نحوي. الصورة مازالت لا تود مفارقة ذهني. يعاود وضع محفظته داخل جيب معطفه. تتسـلل باقي كلماته الدافئة نحوي. لا أفكر سوى في أن الصورة تقبع الآن ملاصقة لجسده.

يلاحظ شرودي المسـتمر ونظراتي المثبتة على معطفه، يزيد من حدة كلماته لجذب انتباهي نحوه. يستطرد برفق في حديثه عنها مجـددا. ألحظ بعض من شـعيراتها وقد امتدت من داخل المعطف لتحتـل قميصه كله. تأتـي نحونا النادلة لتضع كوبيّ (النسـكافيه

t.me/qurssan

البلاك) بابتسامتها المحايدة. تمتد الشعيرات نحو يدها أيضا.

الجدران الخشبية والطاولات ذات القماش الممتلئ بالمربعات الملونة التي صارت تحيط بنا دائما. نتقابل لكنه يكون شاردا. نجلس متلاصقين دون حديث لساعات. أسترق لحظات لا ينظر أحدهم نحونا كي أغوص بجسدي داخله أكثر فأكثر. التلفاز الذي يعرض فيديو لأغنية ما دون صوت. والصوت الذي يردد عشرات الأغنيات الأخرى التي نعشقها. أستمتع بجلستنا متلاصقين. جسد واحد ودقات مختلفة. يحاول الحديث لبعض الوقت حين يشعر بضيقي من شروده. عشرات الأحاديث الجانبية التي تتشكل بيننا والمشروب الدافئ يطل بي من النافذة الزجاجية التي صارت مغلقة بستائر من الخوص. أجزاء من أجساد أراها بالخارج. بعض الأعين المتلصصة تحاول عبور النوافذ لرؤية من بالداخل. تلاصقنا فوق المقاعد الخشبية ينكرني بجلستنا داخل القطار ورغبتي الطاحنة في إراحة رأسي فقط فوق كتفه. عشرات المشاهد التي ترتسم في خيالي كي أجد مبررا لإراحة رأسي قليلا فوق كتفه دون نظرات من الجالسين. أهمس في أذنه برغبتي فيلتفت بعينيه الشاردتين نحو النافذة والطرق المتحركة. أستكمل غوصي في المشروب الدافئ تلك المرة.

t.me/qurssan

(آخران يجلسان داخل نفس الجدران. ربما من عشرات السنوات. يستمتعان بموسيقى أخرى يعشقانها. لا تلفاز تلك المرة. لا نظرات شاردة. فقط روحاهما تطوفان داخل جدران المقهى بأريحية. ربما أيضا كانت الفتاة ترتدي تنورة قصيرة لا تخشى من دخول شارعها المعتم بها وربما كان الفتى يرتدي حذاءه الأسود دون خوف من ضرورة تنظيفه عشرات المرات قبل الموعد. كانا هناك يغوصان داخل بعضهما البعض. يبتسمان من خلف الزجاج الرائق الذي يملأ جدران المقهى. أجساد تمر أمامهما. يتبادلان الابتسام).

نعبر معا أحد الشوارع المظلمة. أتابع بنظراتي السيارات المارة بسرعة. تمتد يده بتلقائية لتلتقط كفي بدفء. يدي تنقبض فوق اصابعه أكثر فأكثر. جسدي يقفز أثناء عبورنا. يتبقى إراحة رأسي فوق كتفك، أردد مبتسمة. يبتسم. نسير قليلا وسط الهواء المتدفق من كورنيش البحر. بضع قطرات لرذاذ مالح تتشكل داخل جوفنا. الأنوار المحلقة على الضفة الأخرى وظلمة البحر الهائج أمامنا. تنكمش أجسادنا أكثر فأكثر.

كان هنا وكنت هناك أمام تمثال (السلسلة) الأبيض لفتاة متماهية أسفل ثور. الهواء يدفعنا ويتخلل جسدينا المتلاصقين. أشعر من

t.me/qurssan

اهتزاز نبرة صوته أن شـــيئا ما داخله. أو ربمـــا بقايا الصقيع في الأحشاء.

التمثال ما زال أمامي أحدق فيـــه رغم الظلام مع خلفية كلماته المنســـابة عن الظروف. أمواج البحر المظلم أمامنا تشتد سطوتها مغرقة إياتا برذاذها تلك المرة. ســـنظل دومـــا كهذا التمثال. هكذا يخبرني.

كان هنا ولكني لم أعد هناك. أســـتقل التاكســـي مبتعدة سريعا. ملامحه خارج الزجاج المبتل وفتاة التمثال تضحك لي بابتســـامتها الخاوية.

أقتل نفسي داخل أحلامي عشرات المرات. أستيقظ باكية. راثية أيامـــي في الحياة التي انتهت لأن لا شـــخص ســـواي بقي لنعيي. هاتفـــي الذي لم يعد يدق لكني لا أملّ من النظر لمســـطحه المظلم. داخل جدران تلك الشـــقة أمكث وحيدة. كل النوافذ صارت مغلقة. حتى الهاتـــف الوحيد الذي أمتلكه وتلفاز مشوشـــة صورته صارا جثتيـــن هامدتين. أبقى مســـتلقية فوق الفـــراش دون حراك ناظرة نحو السقف لســـاعات طويلة. لا أدري شيئا عن الأوقات التي تمر خارج ذلك المـــكان. المزيد من الأقـــراص أتناولها لأصير داخل رأســـي مجددا. ورسالة مشوشـــة بعثتها لرقمه دون رد من جانبه.

t.me/qurssan

صوت مياه يهدر من داخل نظراتي للسقف. المياه الدافئة التي تغلف جسدينا المتعانقين. لم أعانق أي جسد أسفل مياه الحمام من قبل. يداه تمسداني برفق. نظراتي الضاحكة نحوه. استلقاء جسدينا أسفل الغطاء بحثا عن لحظات دفء تملؤنا. أستلقي فوق نفس الفراش مرارا بانتظار مكالمته. والصوت الرخيم المنساب دوما نحوي الذي صار يتأخر عدة أيام. أزيد من تحديقي حتي أتخلل السقف. سطح مصمت كالهاتف الذي تمتد يدي نحوه.

أمام المقهى أقف والهاتف مازال في يدي. أحاول الاتصال عشرات المرات لكن هاتفه كان مغلقا دوما. أتلصص بعينيّ لداخل المقهى نحو أنصاف أجساد جالسة. أنفاسي تضيق قليلا خشية رؤيته بالداخل مع واحدة أخرى. أبقى واقفة لبعض الوقت محدقة في النوافذ دون حراك. نظرات المارة نحوي على وقفتي وحيدة والقطرات التي بدأت في الانسياب من عينيّ. تكدس المارة بجواري أمام بائع العصير الذي احتل الجزء الشرقي من المقهى. نظراتي المتواترة بين مريدي البائع والجالسين بالداخل. الأصوات تعصف بي من كل جانب. أعاود الاتصال. الحديث الدائر بين اثنين بجواري يفقدني تركيزي. يعاود الصوت الآلي إخباري أن الهاتف مازال مغلقا. الهواء المحيط بي يحرك أتربة الشارع فأغمض عينيّ

t.me/qurssan

للحظات مخفية وجهي داخل كفـــيّ. أصابعي تدق بآلية نفس الرقم مجددا الذي قمت بمســـحه قبلا من ذاكرة الهاتف. صوت الســـيدة الآلي مازال يجيبني لكن تلـــك المرة يبدأ الجرس في التصاعد من بين الأتربة. أتلفت حولي لا أحد هناك سوى وجوه المارة. الجرس مازال مســـتمرا فأتحدث. صوته يجيبني دون أن يكون هناك. أبتعد عن المقهى بخطوات واسعة كأنما يطاردني أحدهم والأتربة مازالت تعلوني ليتصاعد الجرس مختلطا بحديثنا من داخلي تلك المرة.

t.me/qurssan

صلوات لديونيسيوس

الظلام الذي يغلف المكان لا تبدده المصابيح الخافتة المحيطة بي. أشعل سيجارتي وأنا ما زلت جالسا فوق الكرسي الخشبي العتيق. ساعات قليلة ليلية هادئة أتمتع بها قبل أن تفتح الحديقة مجددا أبوابها للزائرين. أنظر في ساعتي عشرات المرات راغبا في أن تنتهي تلك الأمسية المملة. سبع ساعات مازالت باقية حتى يأتي زميلي ليتسلم الحديقة مني. المكان الضيق بأسواره الصدئة يقبض نفسي. حديقة مسيجة بعيدة عن الأعين لا يعرفها أحد ولا يوجد بها سوى تمثال واحد عتيق ممتلئ بالأتربة لديونيسيوس الإله الإغريقي. كنت دوما أعمل في لحظات النهار حين تفتح الأبواب ويبدأ الوافدون في القدوم. ربما بعض الطلبة من كلية الفنون يأتون بلوحاتهم وأقلامهم الرصاص محاولين إعادة رسم التمثال والشجيرات المحيطة به عشرات المرات. كانت تلك ورديتي الليلية

t.me/qurssan

الأولى لأن زميلي لم يعد يأتي للعمل فجاة دون أن يخبر أحدا. رغم ضجري لكن الساعات المظلمة كانت هي الأفضل بعيدا عن الأعين والضوضـــاء. تمكنني من اقتناص لحظـــات ثمينة بعيدا عن أعين زوجتي وكلامها المحموم.

ســـيجارة أخرى على وشـــك الانتهاء. ألتقط أخرى سريعا دون رغبة مني في التوقف كي لا أشـــعر بالبـــرودة وهي تزحف فوق جسدي. لا شيء ســـوى ذلك التمثال العاري أمامي ليبدد وحشتي. يجاوره تمثال لفتى صغير ممســـكا بقربة عنب ناظرا بوله للتمثال المنتصب. بعض الأتربة تعلـــوه تملؤني رغبة داخلية في تنظيفه، لكني أبقى ملاصقا للكرســـي منكمشـــا داخل ملابسي دون حراك. أنظر نحو التمثال بتركيز. يخالني شـــعور أني رأيت ملامحه تلك من قبل.

أســـتمع لأصوات تحريك القفل الحديدي الذي يُبقي الباب مغلقا. أنهض ببطء متفقدا البوابة لتطالعني فتاة نحيلة مرتدية سترة رجالي ثقيلة واســـعة لا تتناسب مع جسدها. تشير لي أن افتح الباب فألوح بيدي في عصبيـــة أن ترحل. أقترب منها وأمســـك القفل في يدي ملوحا أن تكف عن العبث في السلسلة الحديدية وترحل.

- أريد الدخول.. دقائق معدودة وسأرحل.

- الساعة التاسعة.. يمكنك القدوم التاسعة صباحا.

t.me/qurssan

تبقى واقفة دون حراك كأنما تدير الأمر في رأسها...

- أين زميلك الآخر؟

- أنا الحارس اليوم.. تعالي في التاسعة.

تنتقل عيناها بيني وبين الحديقة قليلا. تمتد يديها لتغلق سترتها الغريبة ثم تبتسم لي بغنج...

- كان لطيفا صديقك.. متى يأتي؟

ألوح بعصبية مجددا وقد بدأت البرودة تحتل أنحائي...

- التاسعة.. أخبرتك التاسعة.

تمد يدها الصغيـــرة من بين القضبان الحديديـــة للبوابة. ورقة مطوية بعناية تضعها فـــي كفي. أفتح يدي ناظرا لأجد مائتي جنيه مطبقة أمامي. تتشـــنج يدي قليلا قبل أن أفكر في الصياح. سأعود لأجد المرأة تلومني على نقودي التي أبددها طوال الوقت في شراء علب الســـجائر. ربما تمكنني تلك الورقة من البقاء في فندق لبعض ليالٍ أو البقاء على المقهـــى دون أن أتصل بأحدهم ليأتي ويدفع أو أفكر في وقت الرحيل.

أشرد قليلا ثم تمتد يداي بخفة على القفل الحديدي لأفتحه.

- خمس دقائق فقط.

أقولها متلفتا للشارع المظلم الخالي وهي تدلف بجسدها الضئيل

t.me/qurssan

لداخل الحديقة. دقات قلبي تتسارع وأنا أغلق الباب خلفها. ماذا إذا جاء المفتش الآن. يدي تنقبض أكثر فأكثر على المانتي جنيه.

تتركني متجهة نحو التمثال كأنما ألفت المكان مرارا...

- ألا يوجد كوب شاي. زميلك كان أكثر ترحابا.

تمتد يدي المرتعشة نحو الإبريق والكوب الخالي لأملأه لها. لذلك كان يعشق زميلي ورديات الليل ولم يتركها قط.

تمسك جيدا بالكوب الساخن مقتربة من التمثال. تقف في مواجهته وتنحني له انحناءة استعراضية كأنها تقليد لمسرحية قديمة. تدور قليلا حول التمثال ثم تجلس فوق الدكة الخشبية المجاورة له.

تخرج كتابا ما من حقيبة يدها وتبدأ في القراءة منه بصمت. ساعة كاملة تمضيها في القراءة الصامتة. لا أقوى على الجلوس من شدة رعبي أن يأتي أحدهم. كانت مغمضة العينين وهي تردد كلمات مهموسة لم أستطع سماعها. كيف يمكن إخراجها من حالة الوله تلك لتنبيهها بضرورة الرحيل.

تنتهي من القراءة لتنحني مجددا أمام التمثال وتستدير مبتعدة. تعبر أمامي للخروج من البوابة دون حديث. لم أشأ أن أقتحم صمتها وحركاتها الانسيابية تلك. تخرج من البوابة دون النظر خلفها.

صرت أفتعل الحجج للبقاء في وردية الليل. زوجتي مريضة ويجب أن أذهب بها صباحا للطبيب. صارت المانتا جنيه تمنحني

t.me/qurssan

ساعات أحبها في المقهى بعيدا عن كل شيء.

تأتي كل يوم في نفس الموعد. دون حديث أدخِلها متلفتا حولي. تبقي ساعة أو بضع ساعة ثم ترحل. يدي تمتلئ كل ليلة بالورقة المطوية. لم أدقق كثيرا حين أتت ذلك اليوم وبصحبتها فتاة أخرى تشبهها قليلا وترتدي سترة أيضا غريبة. لم أدقق وأنا أراهما تقومان بنفس الطقوس. ظللت أشرب من كوب الشاي وأنا أراهما تطوفان حول التمثال دون توقف مرددتين بعض الكلمات همسا. حتى حين صارت الكلمات مسموعة بعض الشيء لم تكن تزيد بالنسبة لي عن همهمات بلا معنى. كنت سعيدا أنه لا توجد عمارات مجاورة تكشف الحديقة. الشارع الخالي يحيط بالمكان كله.

صار الأمر روتينيا بالنسبة لي. صرت أعرف مواعيد مرور المفتش لأتفاداها. ذلك اليوم تأتي ثلاث فتيات ثم أربع فتيات في اليوم التالي له. سجائري تنتقل من الكيلوباترا للميريت بجدارة. صارت حفنة من الفتيات تأتي كل يوم.

التمثال الذي يتصدر الحديقة يستطيل أمامي أكثر فأكثر. لم يعد للمكان وحشته حين أصير وحدي. صرت أنهض من مقعدي وأزيح الأتربة عن التمثال آملا في قدومهنّ كثيرا.

تقفنّ حول التمثال يرددن بعض كلمات هامسة. أسمعهن. أرددها خلفهن مازحا تلك المرة. لا أدري كيف صارت الكلمات تلتصق بحلقي كلما رددتها. نغماتها صارت تعلق بذهني دون استدعاء

t.me/qurssan

مني. أقف خلفهن ممسكا بكوب الشاي متأملا حلقتهن المغلقة. أتأمل التمثال وسطهن. يخيل لي أنه يسطع وسط ظلام المكان وعضوه ينتصب أكثر فأكثر. نظراته تشع نحوي شيئا فشيئا. لعنة الله على الظلام وتغييراته للأشياء. تنظر الفتاة نحوي مبتسمة. تفسح لي مكانا بجوارهن. أقف دون حراك. النغمات المتصاعدة من الجمع. أردد معهن ما أتمكن من التقاطه.

يدرنّ فأدور معهن مازحا. لكن وجوههن كانت صارمة بلا أي ابتسامة. تتوقفنّ. تنحنينّ. أنحني. يطالعني وجهه الباسم. يمد يده نحوي فأمسك بها. يدي تسري فوق جسده كله. يقف بجواري فتى صغيرا حاملا قربة عنب.

نهـــار آخر يبدأ في القدوم أعرفه من صليل قفل الباب الحديدي. يبـــدأ بعض المارة وطلبة الفنون في المجيء. يقفون أمامي متأملين جســـدي الـــذي لا يتحرك. يخـــرج بعضهم أقلاما لمحاولة رســـم ملامحي.

زميلي الحارس يجلس فوق الكرسي الخشبي العتيق ناظرا نحوي محاولا تأمل ملامحي. أعرف أن شعورا يلازمه بأن ملامحي تلك قد طالعها من قبل.

t.me/qurssan

مولد أول لديونيسيوس

ملتفا بعباءته يقف أمامها. عيناه الحانيتان من أسفل نقاب وجهه تتأملانها طويلا. رغبة داخله مازالت تملؤه بأن تتراجع عن طلبها لكن فمه لا يطاوعه على إقناعها مجددا بعدما فشل مئات المرات من قبل.

تقف أمامه في تحدٍّ. ثوان تمر عليهما من تصادم الإرادات لا تدري كيف ستنتهي. تعلم أنه سيرضخ لها في النهاية. حتما سيفعل.

يفتح عباءته ببطء مترددا في كل حركة من حركاته المهتزة. يظل ملثما مثلما كان، فقط جسده أسفل العباءة يبدأ في التكشف أمامها ببطء. تتوقف يده مرتعشة قليلا كأنما يزن الأمر قبل أن يقدم عليه. تمنى فقط في تلك اللحظة أن يمر الوقت بطيئا لتتراجع عن طلبها.

t.me/qurssan

لم يصدق يوم أقسم أمام نهر(سايكس) المقدس على أن يلبي طلبها أيا كان، أن هذا ما كان يشغل ذهنها طوال تلك الفترة. يلعن إغفاله عنها وعدم إحساسه بما يختلج داخلها طوال تلك الفترة. يلعن أنه لم يتنبه جيدا لشرودها وصمتها الأشهر الأخيرة. يستمر في لعن الظروف داخله وهو يتأمل عينيها الثابتتين. نظراتهما التي لم تعد تحتمل أي مزاح والتي تنبئه أنها لن تحيد عما أرادت حتى لو ساق لها كل الآلهة مجتمعين لإعمال عقلها. لن تفعل.

أيلعن ضعفه وذهابه لها أول مرة؟ أيلعن تنفسه فقط لهواء جسدها؟ أيلعن سقوطه غير المشروط داخل دفئها الأزلي؟ لن يفعل. بحق نهر (سايكس) المقدس لن يفعل. بحق كل... لن يفعل.

عيناها الدامعتان وهي تراه وقد أسقط يديه بجواره متوقفا عن خلع العباءة ووجهه مازال مبهما أمامها. تحثه بصوتها الباكي "لقد أقسمت به!!".

يداه المرتعشتان تمتدان لتغطية وجهه "أقسمت بذاتي!".

***

كان الأمر بالنسبة لها أشبه بألوان لا تتوقف عن التراقص حولها. النافذة المفتوحة التي تهتز من شدة الهواء المحيط. تنهض عن الفراش متعثرة. يدها الباردة تمتد لإغلاق النافذة مجددا.

t.me/qurssan

ألم تغلقها من فترة أم عساها لم تفعل؟؟ ربما كان هذا بقايا حلم سابق لتلك اللحظة. أو ربما هذا حلم تال للحظة أخرى لم تأت بعد.

تهرع عائدة لفراشها الدافئ قبل أن تعتليه البرودة. مغلقة عينيها تحاول جاهدة الانزلاق مجددا في ذلك البئر العميق.

يد تلمسها. ينتفض جسدها بعنف مخرجة رأسها بحدة من أسفل الغطاء. لا شيء. لا أحد. فقط النافذة مازالت تتهاوى أسفل ضربات الرياح.

بحق (زيوس) أي يوم هذا. رياح وعواصف وهلاوس وختام بضياع لحظات نوم نادرة تبغي عودتها.

تنهض من فوق الفراش مصطدمة مجددا بالأرض الباردة. محاولة تحديد ملامح المكان وسط ذلك الظلام الحالك تمتد يدها للبحث عن أي غلالة تستر بها جسدها المرتعش.

اليدان تلتفان حول بدنها كله. يتسرب الدفء ببطء نحوها. تجفل. تلتفت للخلف، لا أحد، لا أحد في المكان كله.

تضرب بذراعيها الهواء علها تجد مالم تجده عيناها. لا شيء.

جسدها ينتفض كسوط ضال هائج في الجهات الأربع للغرفة. ثوان تمر قبل أن تنسحب اليدان من فوق جسدها.

***

t.me/qurssan

يأتيها دوما كإحدى الدقات. حلم غامض. ملامح مموهة سوداء اللون.

يبدأ الأمر بالنافذة المفتوحة والهواء الذي يصدح داخل المنزل المتهالك. ثم جسده وهو يسترخي بجوارها في الفراش. يداه الحانيتان اللتان تجوبان جسدها كله.

دوما ملثما كان وجسده مغطى بعباءة سوداء لا تكشف عمن بداخلها.

أحيانا كانت تشعر بطيف يضاجعها. يدفئها كثيرا ويتركها تستمتع بأثير الجو البارد قليلا.

لا ترى أمامها سوى الحدقتين من خلف اللثام، حادتين، يحملان كل القوى مجتمعة داخله.

في البدء كان الجسد يرتجف لمرآه. فقط شعورها بوجوده كان يجعل جسدها كله يصطك دون مبرر. بعد هذا صارت الابتسامة لا تفارقها. دوما يأتيها بعينيه الحانيتين.

كانت تعرف أنه ليس مخولا لها أن تراه يوما. لن تلمس جسده قط. لن تلقي برأسها على صدره العاري ويستمتعان بأمسية هادئة. كل هذا لن يحدث قط. فقط طيفه الذي يحيط بها هو ما يجب أن تقبله من الأمر.

***

t.me/qurssan

لم تكن (سيميليه) من النوع الشاكي أو الذي يذهب برأسه للأنحاء الشاسعة. كانت من داخلها تعرف من ظهوره الأثيري لها أنه ليس بإنسان وليس بطيف.

كانت تعرف أنه أحد آلهة الأوليمب الذي قادته قدماه نحوها. هي الفانية (سميليه).

في إحدى المرات وبينما طيفه يراوغها، حاولت مدّ يديها نحو العباءة محتضنة إياه لكنه أوقفها بحزم من نظرة عينيه دون أن يحرك يديه حتى.

أيكون أحد المارقين على (زيوس) الذين أتعسهم الحظ أن يصيروا في ذيل قائمة الآلهة وأقلهم منزلة لذلك حضر كي يعبث هنا مع فانية.

تترك كل الخيالات التي تدب في رأسها بعيدا حين تبدأ أول نسمة هواء في التحرك من الخارج والولوج داخلها.

***

يمكثان كثيرا تلك الأيام متأملين بطنها التي صارت تزداد كبرا كلما مر الوقت. لم تعد تخرج للعمل في الحقل مثلما كانت تفعل قبلا. ماذا ستقول. أبعد كل تلك الأزمان تصير (سميليه) رمزا للهوس والجنون حين تحدثهم عن الإنسان الذي ليس بإنسان. عن

t.me/qurssan

الإله المارق الذي فضل البقاء في السفح بدلا من حياة الربّات.

بعدما كانت رمز الجمال الخالد الذي قال عنه شاعر القرية ما لم يقله إنسان في امرأة من قبل. التي كانت حينما تمر تعمي الأبصار وتسلب الأفئدة.

أيـأتي يوم يوقد فيه البخور داخل المعابد لأنهم يخشون حبيبها المارق ويتزلفون لـ(زيوس).

بل هي من كانت تذرف البخور، أفخر أنواع لها وأغلاها ثمنا فقط كي يرضى زيوس عمن داخلها وعن طيف تعشقه.

كانـــت تتزلف للآلهة كثيرا. **"يا (هيرا).. يا ربة الكون.. احمي ابني مما يمكن أن يصيبه.. اجعليه فانٍ فأنا أخشـــى حياة الأطياف وأرهبها كثيرا.. إن كان أبوه قد ضايق إله الآلهة يوما.. فاغفري أنتِ له.. وسيغفر (زيوس) له".**

يشرد ذهنها قليلا. أيكون هذا (مارس) بقوته ورهبته في النفوس فينتشـــلها من تلك القرية هي ووليدها ولا تخشى شيئا مادام يحميها رمحه. أم ترى (مارس) ســـيأتيها متنكرا. من هذا الذي يجرؤ على نزال (مارس).

أمسياتها الطويلة أمام النهر كانت تمضيها مستمتعة بالضوء الذي بداخلها. الذي يزداد وهجه يوما بعد يوم.

t.me/qurssan

تمشط كل الأسماء باحثة عن اسم يليق بـ... لا تدري.

كان يأتيها أحيانا مطمئنا عليها. صار غيابه عنها متكررا وعيناه ذابلتان تشردان دون توقف.

لكن طيفه لم يفارقها قط. دفئه ظل محتفظا بالخط الرفيع الباقي قبل الذبول.

كانت تشعر يوما بعد يوم بمدى حيرته كأن أمرا ما يعمله في عقله.. أمرا ما لا يسعه حسمه. فقط كانت تعرف أنه لم يعد يستطيع تركها والرحيل.

***

كانت تعرف قبل سماع طرقات الباب أن تلك العرافة لم تأت سوى لها.

كانت تعلم حق العلم أنها لم تعبر كل تلك المسافات والقرى إلا كي تأتي لدق ذلك الباب المتهالك والوقوف أمامها بجسدها المنهك ويديها المعروقتين.

لم تندهش ولم تتحدث كأنما كانتا قد اتفقتا على موعد ما.

مـــن الصعب قول إن تلك الخاطرة لم تكن داخل (ســـميليه) من فترة طويلة لكنها لم تكن تجسر على هذا التفكير من قبل.

t.me/qurssan

الآن بوجود تلك السيدة صار الأمر جليا أمامها لأول مرة. يجب عليها معرفة حقيقة الطيف من أجل النور الذي بداخلها.

ستنتظر قدومه في إحدى الليالي القمرية. تتدثر بأحد أرديتها الثقيلة. من المؤكد أنها ستمكث نصف الليل في إقناعه والنصف الآخر في التسلل ببطء معه نحو نهر(سايكس) دون أن يراهما أحد.

من المؤكد أنه سيتوقف طويلا أمام النهر صامتا. ستميل عليه وتخبره أن يقسم أمام النهر أنه سيلبي اي طلب ستطلبه منها.

من المؤكد أيضا أن شعاع القمر الساقط فوق شعرها المتناثر كان يعطيها طابع الحوريات. من المؤكد أنه رأى جسدها أمام ضفاف النهر المرتخى كما لم يره من قبل. من المؤكد أنه أقسم أشد القسم بأن يلبي طلبها أيا كان قبل أن يحتضنها محاولا إخفائها داخله. ربما الآن مازال هو يذكر ذلك اليوم في كل دقة قمرية يراها أمامه.

***

ملتفا بعباءته يقف أمامها. عيناه الحانيتان من أسفل نقاب وجهه تتأملانها طويلا. رغبة داخله مازالت تملؤه بأن تتراجع عن طلبها لكن فمه لا يطاوعه على إقناعها مجددا بعدما فشل مئات المرات من قبل.

t.me/qurssan

عيناها الدامعتان وهي تراه وقد أسقط يديه بجواره متوقفا عن خلع العباءة ووجهه مازال مبهما أمامها. يحثه صوتها الباكي "لقد أقسمت بـ(زيوس)!!"

يداه المرتعشتان تمتدان لغطاء وجهه "أقسمت بذاتي!!"

تنظر له بفزع. تبدأ الأحداث في ثوان في المروق أمامها. تبدأ في إدراك أن العرافة التي جاءتها لتقنعها بضرورة أن تعرف من هو لم تكن سوى زوجته (هيرا) محاولة القضاء عليها وعلى قصتهما معا. تحاول النظر لقسمات وجهه أمامها لكن قبسه ونوره كانا أعظم من أن تتحملهما فانية مثلها. يبدأ جسدها في الاحتراق ببطء والانهيار تماما أمامه.

يبكي (زيوس) جاثيا على قدميه. جسدها الضئيل يتلاشى بين يديه. قضى بنفسه على روحه التي كانت تحويها. يغلق عينيه مستمرا في البكاء.

حين يفرغ الأمر وتتحول لرماد منثور يقف باستقامته. صوت البكاء يعلو في أرجاء المكان كله، بكاء (ديونيسيوس) الطفل الذي كان بداخلها وقد خرج الآن من الرماد باكيا. ينظر نحوه ليحتضنه بحميمية ويأخذه بعيدا عن المكان.

t.me/qurssan

المؤلفة في سطور

جيلان الشمسي

- من مواليد الإسكندرية 1986.
- حاصلة على بكالوريوس الهندسة، جامعة الإسكندرية 2008 - بكالوريوس فلسفة، لندن 2016.
- عضوة في منتدى إطلالة الأدبي السكندري.
- صدر لها: "يوما ما سأكون شمسا"، مجموعة قصصية، دار العين للنشر، 2011.
- نشرت مع آخرين في كتاب "حديث الديناصور البنفسجي"، دار ليليت، 2013.
- نشرت قصص في عدد من المجلات والجرائد (أخبار الأدب، الثقافة الجديدة، موقع الكتابة).
- شاركت في ورشة معهد جوته للقصة القصيرة تحت إشراف الكاتب (عباس خضر).

البريد الإلكتروني:

gilane.elshamsy@gmail.com

t.me/qurssan

كأنّ تنقصه الحكاية

«أنهض اليوم راقصا على الموسيقى. أحرك كل خلاياي على موسيقى (باخ) أشهر صولو كتب للتشيللو. لا أدري لماذا صار تكرارها محببا لي. جسدي يتحرك. قدماي تتحركان دون إرادة مني. جسدي يقفز من مكان لآخر. يقوم بحركات لم ألفها من قبل. أتوقف قليلا ملتقطا أنفاسي من التعب. أسقط جسدي على الفراش مجددا مبتلعا المزيد من الحبوب الأخرى».

«كأنّ تنقصه الحكاية» مجموعة قصصية تدور في عوالم هي مزيج ما بين الواقعية والفانتازيا العبثية، تحاول الكاتبة في المجموعة الغوص بشجاعة داخل الذات الإنسانية وإعادة هيكلة العالم ووضع تعريفات جديدة له. تنتقل «جيلان الشمسي» بين هذه العوالم للبحث عن تلك الذات بداية من الهروب من السماء التي تعكر صفوها ولم تعد كما كانت، مرورا بمحاولات البحث عن الأرض الأخرى حتى تبدأ في تشييد ذلك العالم القديم بتعريفاته الجديدة بالبحث عن الآخر، وهي تردد مع كفافيس «ستصل على الدوام إلى هذه المدينة.. لا تأمل في بقاع أخرى.. ما من سفين من أجلك وما من سبيل».

الغلاف: عمرو عبد العزيز

t.me/qurssan